فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ

بقلم

الدكتور عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين

البـــاب الأول

بين يدى

فَــاذكرونى أذكُـــرْكمْ

اجمـــال

فى بيان الطريق إلى الله

يقول الله تعالى فى سورة الزمر — تلك السورة التى أخرج النسائى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها كل ليلة : —

(قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جميعا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفورُ الرَّحيم)

وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » الآية ... »

وجاء رجل — كما ورد فى مسند الإمام أحمد — إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . شيخ كبير يدعم على عصاه فقال :

يا رسول الله : إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى ؟

فقال صلى الله عليه وسلم :

« ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟

قال : بلى واشهد أنك رسول الله .

قال صلى الله عليه وسلم : قد غفر لك غدراتك وفجراتك ».

إن الله سبحانه وتعالى فى هذه الآية الكريمة يفتح أبواب مغفرته ورحمته على مصاريعها ، إنه يرجى عباده حتى لا ييأس أحد من رحمته ،

« إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ » ،

« قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ».

والجو الإسلامى كله مفعم بفتح أبواب المغفرة والرحمة ...

فالحج المبرور مثلا يخرج الإنسان من ذنوبه ، حتى يصبح فى البراءة منها ، كيوم ولدته أمه .

ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ،

والإسلام يجب ما قبله .

وهذه الآيات الكريمة من سورة الزمر ، تبدأ ببيان رحمة الله الواسعة ، ومغفرته الشاملة ، ثم تأخذ فى رسم الطريق لذلك ، فيقول الله سبحانه :

« وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُم ، وَأَسْلِمُوا لَهُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ » .

والطريق إذن إلى مغفرة الله ورحمته إنما هو التوبة الخالصة النصوح ، وهى الإنابة إلى الله سبحانه ، أى التوبة فى أسمى درجاتها ، وإسلام الوجه لله سبحانه .

وبعد أن يبرأ الإنسان من ذنوبه ترسم له الآية التى تتلو ذلك طريقه :

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ .

وأحسن ما أُنزل إلينا من ربنا هو القرآن الحكيم – إنه :
«يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ»

وهو مهيمن على غيره ، مبين للحق فيما يختلف فيه أهل الكتب السماوية .

ثم يتلو ذلك آيات ثلاث تبين موقف الإنسان الذى لم يتب ، أو الذى تاب ولم يتبع :

«أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَافَرَّطْتُ فِى جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَاخِرِين . أَوْ تَقُولَ لَوْ أَن اللهَ هدَانِى لَكُنْت مِنَ الْمُتَّقِين.

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ » .

وكل ذلك لا يجدى ، والرد عليه حاسم من قبل الله سبحانه الحكيم العليم :

« بَلَى : قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ »

ويبين الله حالة هؤلاء يوم القيامة :

« وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ » .

لا شك أن فيها مثوى للمتكبرين ، مثوى يختلف ويتفاوت باختلاف درجاتهم فى الكبرياء والمعاصى وتفاوتهم فيها .

ويختم الله سبحانه هذه الآيات التى ترسم المنهج وتبين المآل والمصير ، ببيان مآل ومصير الذين تابوا واتبعوا أحسن ما أنزل إليهم من ربهم ، فيقول سبحانه :

وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتقوا بِمَفَازَتِهِمْ ، لاَ يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ..

مسئولية

يقول الله تعالى :

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ .

وهذه الآية الكريمة يصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها « الجامعة الفاذة »

ذلك أنها عامة شاملة ، وأنها عميقة دقيقة .

ولقد روى الإمام أحمد : عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه هاتين الآيتين ... فلما سمعها قال : « حسبي ، لا أبالى أن لا أسمع غيرهما » .

والآيتان تحددان المسئولية تحديداً لا لبس فيه ، والجزاء مرتب على المسئولية :

فان عمل الشخص الخير فان جزاءه يكون الخير

أما إذا عمل الشر فالشر جزاؤه

ويقول الله سبحانه :

« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ »

والقرآن الكريم فى هذا الموضوع يبين أنه :

«لَا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» . ويفيد أنه :

«لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» .

وقد أبان القرآن الكريم عاقبة عمل الخير ، وعاقبة عمل الشر .

يقول الله تعالى فى جانب الخير :

« مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ».

وفى هذه الآية الكريمة ... رتب الله سبحانه ... السعادة على العمل الصالح الذى يقوم على الإيمان .

وهذه السعادة التى عبر الله سبحانه عنها بالحياة الطيبة ، إنما هى سعادة فى هذه الدنيا ، يعقبها سعادة أخروية .

وذلك ما عبر الله عنه بقوله فى الآية :

«ولنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » أى :

ونتيجة العمل الصالح ليس حتما أن تكون تالية له .

فقد تكون فى أثنائه :

فتكون فى أثناء العمل طمأنينة نفس ، وراحة بال ، وهدوء ضمير .

ويذكر الله سبحانه نواميس الخير ، ومنها قانون التقوى فيقول تعالى :

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »

فالتقوى مؤدية إلى الفرج ، والخروج من المآزق والشدائد .

ويذكر الله سبحانه قانون التقوى أيضاً فى صورة أخرى فيقول :

«وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ » .

والتقوى إذاً — وهى عمل صالح خالص لوجه الله — تفيد بالنسبة للفرد ، وتفيد بالنسبة للقرى والجماعات .

أما الشر فان له قوانينه أيضاً التى ذكرها الله سبحانه وتعالى ، يقول سبحانه :

«وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » .

والويل : هو الخسران وعدم الفلاح .

إنه يصيب كل مطفف ... إنه يصيب الذى يزيد إذا أخذ ، وينقص إذا أعطى ، ويصيب بالمثل كل مطفف .

إن الموظف مطفف إذا لم يؤد حق الوظيفة على ماينبغى ، والمدرس مطفف إذا لم يقم بتربية الأمانات التى وكلت إليه كما يجب ، والعامل مطفف إذا لم يتقن عمله .

وما من شك فى أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه ، والصانع مطفف إذا لم يوف بما عهد إليه ، والتلميذ مطفف إذا لم يؤد واجب الدراسة على الوجه الأكمل .

وكل مطفف فجزاؤه الخسران والعذاب .

وبعد :

فقد يتساءل إنسان عن أمور الخير حتى يتبعها ، وعن أمور الشر حتى يجتنبها ؟

والأمران حددهما الله تعالى فى كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته الشريفة .

فاذا اتبع المؤمن بحكم إيمانه ما أمر الله به ، واجتنب ما نهى الله عنه فقد اعتصم بالله :

« وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

لا يأس

يقول الله تعالى :

« وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الوَلِيُّ الْحَمِيد » . . .

إن من علامات صدق الإيمان الثقة المطلقة فى الله سبحانه و تعالى ، فى رحمته ، فى رأفته ، فى عدالته ، فى لطفه ، فى عنايته بالمؤمن ، ورعايته له .

الثقة برحمة الله وفرجه حتى ولو كانت كل الشواهد تدل على أن لا أمل ، ولو كانت كل الظروف تشعر بالضيق .

والآية الكريمة التى نحن بصددها تشرح ذلك فى إيجاز واضح ، وفى جمال بليغ ، إنه سبحانه ينزل الغيث فى الوقت الذى يظن المحتاجون أن لا أمل فى قطرة ماء ، وينشر رحمته فى الأجواء اليائسة القانطة ، فينقلب الجدب خضرة يانعة ، ويصير القحط روضات وجنات ، وذلك أن من صفاته سبحانه أنه ولى للمؤمن ، ، حميد فى جميع تصرفاته :

إنه يتولى برحمته من حقق العبودية ، وأفعاله سبحانه حميدة دائماً لأنه سبحانه حميد .

وهذه الصورة من الإيمان الواثق بفرج الله ورحمته هى التى عبر عنها سيدنا يعقوب عليه السلام قائلا لبنيه :

« يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » .

وهى التى تجعل المؤمنين يلجأون إلى الله دائماً بالدعاء والتضرع فيستجيب الله لهم كلما أخلصوا وجههم له :

« إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ » .

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي » .

والله الرحيم هو الذى يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء . وصلة الله سبحانه وتعالى بالإنسان صلة رحمة ورأفة :

ورحمته سبحانه وتعالى تتجلى فى كل ما أسداه سبحانه لعباده من هذه النعم المادية التى لا تحصى :

« وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » .

ولكنها تتجلى فى أجمل مظاهرها فى قواعد الهداية التى أحبها الله لعباده ، والتى يدور عليها درجة سموهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وهى نعمة منبثقة رأسا من رحمة الله :: يقول سبحانه :

« وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ » .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :

« إنما أنا رحمة مهداة » .

ورحمة الله فى الهداية أجلى عند أولى الألباب من رحمته فى النعم المادية وذلك أن رحمته فى الهداية نتيجتها لمن يتبعونها الأمن والطمأنينة والرضا والسكينة . .

وهذه الأمور هى السعادة التى يسعى لها من وفقهم الله للسير على هداه .

وهداية الله إذا تبعها الأفراد سعدوا فى دنياهم وأخراهم ، وإذا تبعها الجماعات أمنوا على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وعاشوا أعزة بالله وبدينهم .

وهداية الله للأفراد ليست آراء تخطىء وتصيب ، وليست قوانين تظهر التجربة الخطأ فيها والصواب .

وإنما هى العصمة الكاملة ، لأنها تنزيل من حكيم خبير .

وقد ضمن الله سبحانه وتعالى لكل من يلتزمها أن يشمله برعايته ، فلا يقع فى غمرة الحزن والخوف ، وإنما يسير فى نور من توفيق اللهِ ، وفى أمن من حمايته .

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وكانوا يَتَّقُون ، لهُمُ الْبُشْرَى فى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ الْعَظِيمُ » . .

وبعد :

فإن الله سبحانه وتعالى سمى نفسه بالرحمن ، وسمى نفسه بالرحيم ، وأمرنا أن نستفتح أعمالنا بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » :

وإن من رحمة الإنسان بنفسه أن يلجأ إلى رحمة الله الكبرى ، وهى هديه سبحانه ، فيستظل فى ظل دوحتها النضرة وهى القرآن الكريم فينعم من وراء ذلك بمرضاة الله وبحمايته :

« وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ » .

النجيء الى الله

يقول الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُم الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ ، واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيد »

إن من أجمل ما يفسر هذه الآية الكريمة الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم ، والذى كان أبو إدريس الخولانى رضى الله عنه يرويه كثيراً ، وكان حينما يرويه يجثو رضى الله عنه على ركبتيه إحتراماً وتقديساً للحديث ، ثم يبدأ فى ذكره :

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال :

ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا .

ياعبادى : كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم .

ياعبادى : كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعمونى أطعمكم .

ياعبادى : كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسونى أكسكم .

ياعبادى : إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفرونى أغفر لكم .

ياعبادى : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى .

ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً .

ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيئاً .

ياعبادى: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر .

ياعبادى: إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » .

وما من شك فى أن الإنسان — فى كل أحواله — فقير إلى الله :

إنه فقير إلى الله فقراً مطلقاً فى الناحية المادية على إختلاف أنواعها :

« فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعِنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدَائِقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ » .

« أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا » .

« أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ » .

والإنسان فقير إلى الله فى هدايته الروحية :

وإننا لنردد كل يوم مرات عدة :

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيم ، صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين » .

والذين أنعم الله عليهم هم الذين اتبعوا هديه ، وعملوا به ، والتزموه .

وهدى الله سبحانه وتعالى يتضمنه القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وإذا كان فقر الإنسان إلى الله فى الجانب المادى فقراً مطلقاً فإن فقره إلى الله فى الجانب الروحى فقر مطلق أيضاً .

وبعد :

فيقول صاحب كتاب التحبير :

« وإغناء الله عباده على قسمين :

فمنهم من يغنيه بتنمية أمواله وهم العوام — وهو غنى مجازى — ومنهم من يغنيه بتصفية أحواله وهم الخواص — وهو الغنى الحقيقى — لأن إحتياج الخلق إلى همة صاحب الحال ، أكثر من إحتياجهم إلى لقمة صاحب المال . .

قد أفلح من زكاها

يقول الله تعالى :

« لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ ، وَيُعَلِّمُهُم الكتَاب والحكمة وَإِنْ كَانُوا من قَبْلُ لَفِي ضَلَال مُبِينٍ » .

وتزكية النفس : هى ما يريد الدين تحقيقه فى هذا العالم ، ويو تحقيقه لأجل غايات شتى :

أولها : أن تزكية النفس كمال إنسانى ، وسمو روحى ، و يتأتى هذا الكمال إلا إذا اتخذ الإنسان الطريق السليم .

والطريق السليم للكمال أو التزكية ليس نتيجة إختراع بشرى أو إبتداع ذهنى ، أو رسم إنسانى .

— فالعقول تختلف وتتعارض — وإنما هو من رسم العزيز الحكيم ، وقد رسمه الله سبحانه فى كتابه العزيز وبينه فى محكم تنزيله مفصلا واضحاً لا لبس فيه .

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثلا تطبيقياً لهذا الرسم الإلهى للتزكية : لقد كان خلقه القرآن .

وإذا كانت تزكية النفس كمالا إنسانيا بالنسبة للفرد ، فانها جوهر العوامل فى إستقرار المجتمع ، وبين ربوع الوطن ، وهذا هدف ثان من أهداف التزكية .

ومما لا شك فيه أنه كلما زادت نسبة التزكية فى مجتمع ما ، كلما كان الأفراد فى طمأنينة على دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، وكلما كانوا بذلك فى محيط من السعادة أكمل وأتم ، وكان مجتمعهم من المجتمعات التى يغبطون عليها .

والهدف الثالث من أهداف التزكية إنما هو النجاة بل النعيم فى الآخرة . .

يقول سبحانه :

« جَنَّاتَ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى » .

وسبيل هذه التزكية الأصيل ، وأساسها الراسخ ، إنما هو الإيمان اليقينى الذى يسلم فى ثقة القياد إلى الله ، ويلقى بنفسه فى ثقة وغبطة تحت الراية الإلهية يستظل بظلها ، ويحملها ، ويرفعها ترفرف على الآخرين لينضووا تحت لوائها : أى أنه يؤمن ويبشر بالإيمان وينشره ، آمراً بالمعروف — أى الخير والفضيلة — ناهياً عن المنكر — أى الشر والرذيلة — .

فاذا ما توفر الإيمان والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أدى ذلك إلى صلاح الفرد ، وصلاح المجتمع ، والفوز فى الآخرة .

والخطوة الأولى فى طريق تحقيق الإيمان تحقيقاً صادقاً ، والخطوة الأولى فى سبيل تزكية النفس ، إنما هى الإتجاه إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح ، التوبة التى تفصل بين عهدين :

عهد ليس فيه صلح مع الله سبحانه .

وعهد فيه الصلح مع الله تعالى .

والتوبة الخالصة النصوح تضع الإنسان مباشرة فى مرتبة البراءة ، إنها تغسل الذنوب ، وتطهر النفس ، فتصبح صحيفة الإنسان بيضاء ناصعة ، معدة لأن تكتب فيها الأعمال الصالحة .

وبعد :

فان التوبة الخالصة النصوح ثرية بالمعانى ، فهى تتضمن :

العزم المصمم على إخلاص العمل لله ، إنها تتضمن نفى الشرك الظاهر والخفى .

وتتضمن :

العزم المصمم على العمل الصالح ، على التقوى ، على طيب المطعم ، على تحقيق ما يرضى الله ، والابتعاد عما يغضبه .

ومن أجل ذلك كله يقول الله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ » .

ان الله يحب التوابين

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أنا نبى التوبة » .

والواقع أن الطريق إلى الحق الذى أرسل الله به رسوله إنما يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش فى جو من التوبة مستمر ، ولقد روى عنه أنه كان يقول ما معناه :

« يا أيها الناس : توبوا إلى الله واستغفروه فانى أتوب إليه وأستغفره فى اليوم مائة مرة » .

وما كانت توبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذنب ، وحاشاه صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم ؛

وما كانت توبته صلى الله عليه وسلم عن غفلة ، كلا وحاشاه صلوات الله وسلامه عليه ، وإنما كانت توبته توبة عبادة ، وتوبة عبودية ؛

ومن أجل ذلك كان يكثر منها عبادة وعبودية ، وكان يكثر منها ليكون فى داخل الإطار الذي رسمه الله سبحانه وتعالى بقوله :

« إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ » .

والتوابون : هم الذين يكثرون من التوبة .

وللتوبة الصادقة خصائص :

إنها أولا تخرج حظ الشيطان من القلب فيصبح طاهراً بريئاً من كل دنس ، وهذا هو المغزى العميق من وراء الجدل والمماراة فى حادث شق الصدر ، وما من شك فى أن المغزى الذى نأخذه من شق الصدر واستخراج حظ الشيطان منه هو الطهارة الكاملة للصدر .

ونشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بواكير حياته مطهراً نقياً وأول خصائص التوبة إذا إنما هى الطهارة والبراءة التامة .

وإذا أخذنا شق الصدر بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم بمثابة التوبة بالنسبة لنا فاننا نقول :

إن من خصائص التوبة حينما تتكرر فى صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينة ، لأن الإنسان بالتوبة الصادقة يلقى بنفسه فى الرحاب الإلهى فيسكن إلى الله وكفى بالله هادياً وكفى بالله نصيراً .

إنه بالتوبة — وهى نوع من اللجأ إلى الله ، والتضرع إليه ، والإنابة — يسلم الأمر إلى الله .

وفى التوبة تسليم ، وفى التوبة توحيد ، وفى التوبة توكل على الله ، فيمتلىء القلب سكينة .

وإذا كانت الأحاديث النبوية الشريفة تقول عن شق الصدر فى المرة الأولى :

« إن الملكين استخرجا حظ الشيطان من القلب الشريف » فإنها تقول عن شق الصدر فى المرة الثانية :

« إن الملكين ملآ قلبه الشريف سكينة » .

وتكرر التوبة فتصل إلى ما عبرت عنه الأحاديث الشريفة عن شق الصدر الشريف فى المرة الثالثة وذلك أن الملكين ملآ القلب الشريف حكمة .

وكذلك الأمر فى التوبة إذا دامت ...

ثم إنها إذا تكررت انتهت بحب الله للعبد المكثر من التوبة :

« إن الله يحب التوابين » ...

وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنا بنى التوبة »

معناها فى النهاية :

أنا النبي الذى أتيت راسما للطريق الذى يسير بالإنسان فى خطى منتظمة رتيبة إلى استخراج حظ الشيطان من القلب ، ثم إلى امتلاء القلب سكينة ، ثم إلى امتلاء القلب حكمة ، ثم إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده التائب .

وأما بعد :

فإن من طرائف العقول المستبصرة ما رواه صاحب كتاب الشامل ونقله عنه الإمام ابن كثير فى تفسيره من أن أعرابياً جاء إلى الضريح النبوى الشريف وقال : السلام عليك يارسول الله ، لقد قال الله فى كتابه العزيز :

« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما » .

وقد جئتك مستغفرا لذنبي ، مستشفعاً بك إلى ربي ، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف الأعرابي ، وكان جالساً بالقرب منه رجل صالح يسمع كلامه ، فأخذته سنة من النوم فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول له :

« إلحق بالأعرابي فبشره بأن الله قد غفر له » .

اياك نعبد واياك نستعين

يقول الله تعالى فى سورة الفاتحة :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين »

روى الإمام ابن كثير عن بعض السلف قوله :

« إن الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة :

« إياك نعبد وإياك نستعين »

فالأول : أى قوله تعالى :

« إياك نعبد» : تبرؤ من الشرك ،

والثانى : أى قوله تعالى :

« وإياك نستعين » تبرؤ من الحول والقوة ، وتفويض الأمر إلى الله عز وجل ، وهذا المعنى ورد فى كثير من آيات القرآن ... منها قوله تعالى :

« فاعبده وتوكل عليه » ....

وهذه الكلمة القرآنية قد قدم الله سبحانه وتعالى لها بما يعتبر أساساً ومبرراً بقوله سبحانه وتعالى :

« وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون »

والله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله ﷺ قائلا له :

« قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا »

ويقول سبحانه :

« رَبُّ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَاإِلَهَ إِلَّا هو فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا »

وما من شك فى أن الآية الكريمة :

« إياك نعبد وإياك نستعين »

تعنى عناية واضحة وجوب إخلاص العبادة لله وحده ، ووجوب قصر الاستعانة على الله وحده .

والقرآن يوضح بما لا مزيد عليه أن الله سبحانه وتعالى هو وحده المتصرف فى الكون : إنه المتصرف فى اليسير من أمر الكون وفى العظيم منه :

« قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ . تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِير »

وهو سبحانه كما يملك السماوات والأرض وكما يمسكهما أن تزولا :

« وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ »

فإنه يملك كل جزيئة من جزئيات العالم :

إنه يملك البصر فى العين ، ويملك السمع فى الأذن كما يملك العين والأذن ويملك الصحة فى الجسم الصحيح ، ويملك استمرار الجاه عند ذوى الجاه ، ولو شاء سبحانه لأزال ذلك كله ومنع استمراره .

إن قوله تعالى :

« وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمر كُلُّه »

عام شامل ... ومن أجل ذلك :

فإن العبادة يجب أن تكون خالصة له ، وإن الاستعانة يجب أن تتمحص له ولقد رسم . سبحانه الوسيلة الصحيحة للاستعانة به المثمرة :

إنها إخلاص العبادة له ... فمن أحب أن يكون الله سبحانه وتعالى معه بالتوفيق والتيسير والعون ... من أحب أن يستجيب الله له فليحقق العبودية له سبحانه :

فإياك نعبد : وسيلة لتحقيق « وإياك نستعين »

وفى حديث قدسي رواه الامام البخارى توضيح لذلك بقول رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته ، ولئن إستعاذنى لأعيذنه ..

وهذا الحديث الشريف يبين فى وضوح أن أحب شيء يتقرب به الإنسان إلى الله إنما هو أداء ما افترضه الله عليه ، وأن الإكثار من النوافل مع أداء الفرائض وسيلة إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده .

وإذا أحب الله إنساناً كان معه بالتوفيق والهداية والتيسير ، واستجاب له إذا سأل ، وأعاذه إذا إستعاذ ..

وبعد :

فإن « إياك نعبد وإياك نستعين » هى : تحقيق للإيمان الصحيح والتقوى الصادقة ، أى أنها الصورة الواقعية لأولياء الله سبحانه .

والله تعالى يقول :

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ ، وَلَاهُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرة ، لَا تَبْدِيل لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هو الفَوْزُ الْعَظِيمُ »

اهدنا الصراط المستقيم

يقول تعالى فى سورة الفاتحة :

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّين » .

والصراط المستقيم هو صراط الله الذى رسمه سبحانه فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم . لقد رسمه الله سبحانه منهجاً ووسيلة ، ورسمه مبادئ وقواعد ، ورسمه غايات وأهدافاً .

ونحن بهذه الآية الكريمة نتجه إلى الله سبحانه ، ندعوه أن يهدينا إلى صراطه المستقيم وذلك أنه لا يهدى إليه إلا هو : يقول سبحانه فى حديث قدسى : « يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدونى أهدكم » .

إن الهداية من الله سبحانه ، وإن من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له وإذا هدى الإنسان إلى الصراط المستقيم فقد فاز بالخير الذى أحبه الله للإنسان كاملا غير منقوص .

والصراط المستقيم هو الإيمان الصادق ، الإيمان الاتباعى :

أى الإيمان الذى تتحكم فيه التعاليم الإلهية تحكما تاما ، ويسير فى إطارها راضيا مستسلماً مسلماً :

« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما » .

إن المؤمن لا يؤمن حتى يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فى أمور عقيدته ، وفى أمور أخلاقه ، وفى أمور تشريعه ،

وحتى يتقبل ذلك فى سكينة وإطمئنان وغبطة .

ويصف الله سبحانه المؤمنين الصادقين فيقول :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » .

وهذا الوصف للمؤمنين يتناول وصف الأساس القلبي :

إنه إيمان لا ريب فيه ...

ويتناول الأثر والمظهر :

إنه الجهاد فى سبيل ما آمن به : جهاد النفس ، وجهاد المال ، جهاد بجميع أقطار النفس ، وجهاد بكل ما تملك .

وهذه الآية الكريمة تعتبر مقياساً صادقاً لكل من أراد أن يتبين حقيقة إيمانه .

والصراط المستقيم غايته ونهايته التى يؤدى إليها إنما هى الله سبحانه وتعالى ... وقد حددها سبحانه بقوله :

« وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى » .

وليس دون الله منتهى للمؤمن .

وغاية المؤمن — كل غايته — إنما هى الله سبحانه وتعالى ...

ويبتدىء السير إلى الله بالتوبة الخالصة النصوح ، والتوبة الخالصة

النصوح هى أول خطوة على الصراط المستقيم ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

ويقول سبحانه فى حديث قدسى :

ياعبادى : إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — فيما رواه الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه : —

« والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »

ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم عن الأغر بن يسار رضى الله عنه : —

« يا أيها الناس : توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة » .

والصراط المستقيم إذن : يبدأ بالتوبة الخالصة النصوح ، وليس له دون الله منتهى .

والله سبحانه وتعالى يصف المؤمنين مبيناً خطواتهم فى الطريق إلى الله ، أو مبيناً الطريق نفسه فى تساميه وتدرجه ، فيقول سبحانه فى وصفهم :

« التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ » .

ثم يختم الله سبحانه وتعالى هذا الوصف بقوله سبحانه :

« وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

وبعد :

فإن قول الله سبحانه وتعالى :

« وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

لا تحده حدود ، ولا يقيده قيود ، فالبشرى مطلقة :

إنها بشرى الله لهم بالنجاة وبالفوز فى الدنيا والآخرة .

صراط الله

يقول الله تعالى :

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »

وصراط الله أساسه وجوهره إنما هو التوحيد .

إن التوحيد هو أساس صراط الله الذى لا يقيده زمن ، ولا يحده مكان ، ومن أجل ذلك كان الأساس فى دعوة جميع الأنبياء والرسل :

يقول تعالى :

«وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » ويقول سبحانه :

«وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ » .

ويعمم الله سبحانه وتعالى الحكم تعميما ، ويجعله شاملا شمولا مطلقاً فيقول :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »

وهكذا كان التوحيد دعوة جميع الأنبياء والرسل .

والتوحيد الذى هو جوهر الرسالات إنما هو التوحيد الشامل العام ...

أى توحيد الله سبحانه بالإلهية ، وتوحيده بالربوبية ، وتوحيده بالسيطرة والهيمنة على كل صغيرة وكبيرة :—

« قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ، تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ولا يتأتى — والله مالك الملك — أن يسأل الإنسان غير الله ، أو أن يستعين بغيره ، وشعار المؤمنين الصادقين هو :

« إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » .

إن شعارهم :

« إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم
ــ بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد
عوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا
بشىء قد كتبه الله عليك » ...

ويوضح هذا الإمام القشيرى فيقول :

إن الله تعالى مغن عباده بعضهم عن بعض ، لأن الحوائج — على الحقيقة — لا تكون إلا إليه ، فالمخلوق لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ... فكيف يملك ذلك لغيره ؟ ...

ولهذا قيل :

« تعلق الخلق بالخلق تعلق المسجون بالمسجون » وقيل :

« من رفع حاجته إلى الله تعالى ، ثم رجع عن حاجته إليه إلى غيره ، ابتلاه بالحاجة إلى الخلق ثم نزع رحمته من قلوبهم » ...

ومعنى التوحيد الحقيقى فى النهاية :

أن يلقى الإنسان بقياده فى استسلام مطلق إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يخلص له وجهه إخلاصاً لا رياء فيه .

ولقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال :

« إنه الإخلاص » ...

ويقول سبحانه :

« أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ » .

« فكل ما ليس خالصاً لوجهه لا يثيب عليه ، ولا يتقبله » ...

ولقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الرياء على اختلاف صوره شرك يحبط العمل ...

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما رواه الإمام أحمد —

« إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الشِّرْكُ الأَصْغَر » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم :

« إذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »

والرياء مجموعة من الآثام تنزل بالإنسان إلى مستوى من الأخلاق غير كريم ، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فى مختلف صوره ، من ذلك ما قاله صلى الله عليه وسلم — فيما رواه البيهقى : —

« من صام يرائى فقد أشرك ، ومن صلى يرائى فقد أشرك ، ومن تصدق يرائى فقد أشرك » ...

وبعد :

فإن كل عمل لا يراد به وجه الله شرك ، يتنافى مع التوحيد ، لا يتقبله الله ، ولا يثيب عليه .

والفيصل فى هذا هو ما حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الشريف الذى يعتبر مبدأ هاماً من مبادىء الإسلام :

روى البخارى رضى الله عنه بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّات ، وإنَّمَا لِكُلِّ امرِىءٍ مانوى ، فَمَنْ كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أَو امرأَة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه .

وكفى بربك هاديا ونصيرا

يقول الله تعالى :

« أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ، وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ اللهُ فَمَالَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَالَهُ مِنْ مُضِلٍّ ، أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِى إِنْتِقَامٍ » .

إن الذى لا شك فيه ولا مراء هو : أن الله سبحانه كاف عبده الذى حقق العبودية له سبحانه ، والقرآن الكريم يستفيض فى بيان قوانين الله سبحانه وتعالى فى كفاية الله لعبده الذى استجاب له سبحانه — فى أمور الدنيا بالمشى فى مناكبها ، والسعى فيها ، والأكل من رزق الله ، وبالإنتشار فى الأرض ، وابتغاء فضل الله ، وبتسخير ما سخر الله للإنسان من عوالمه الكثيرة .

ويستفيض القرآن مع ذلك — بل ومن قبل ذلك ومن بعده — فى بيان قوانين الله لكفاية عبده الذى حقق العبودية فى صلته به سبحانه .

وما من شك فى أن الصلة بالله على بساط العبودية ، هى أساس كل خير ، ومصدر كل توفيق ، وهى مناط السعادة فى الدنيا والآخرة .

وإن الخطأ البين الذى يقع بعض الناس فيه عادة إنما هو ظنهم أن ثمار العبودية الصادقة إنما تتعلق بالآخرة فحسب ، ... وما من شك فى أن العبودية الصادقة ثرية بالخير فى الآخرة وثمارها شهية فيها ، ...

وما من ريب فى أن الآخرة خير وأبقى ، وفى أن أعظم الخيرات — على الإطلاق — هى أن يقابل الإنسان ربه وهو عنه راض :

« يوم تَبْيَضُّ وجُوهٌ وتَسوَدُّ وجُوهٌ »

« يَوْمَ لا ينفع مال ولَا بَنُونَ ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ »

« يَوْمَ يفِرُّ المرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وأُمِّهِ وَأَبِيهِ »

ومع ذلك :

فإن ثمار العبودية الصادقة تتحقق فى الدنيا قبل الآخرة ، وتبدأ العبودية الصادقة بالإستغفار ... فإذا ما أكثر الإنسان من الإستغفار كانت سعة الرزق ... يقول سبحانه على لسان نبيه نوح عليه السلام :

« اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » .

وإذا قرن الإستغفار بالتوبة زاد ذلك فى قوة الإنسان بل والجماعة — فضلا عن زيادته فى الرزق — يقول الله تعالى على لسان نبيه هود عليه السلام :

« ويَاقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ » .

على أن فى كثرة الاستغفار أمان من العذاب فى هذه الحياة الدنيا .. يقول تعالى :

« وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » .

وإذا ما أكثر الإنسان من التوبة — والتوبة تضرع إلى الله وإنابة إليه — فإن الله يحبه .

« إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ »

فإذا التزم الإنسان التقوى فإن الله سبحانه وتعالى يجعل له : من كل ضيق فرجاً ، ومن كل هم مخرجاً ، ويرزقه من حيث لايحتسب .

ويقول سبحانه :

« ومَنْ يتَّقِ اللّه يَجْعَلْ له مَخْرَجًا ويرزُقه من حيثُ لا يَحْتَسِب »

فإذا ما توكل الإنسان على الله التوكل الصادق فإن الله حسبه .. يقول سبحانه :

« وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُه »

فإذا ما كان الله حسبه فإن كل من دون الله لا قيمة له .. وكل تخويف بغيره لا وزن له .

فالله هو وحده صاحب التصريف .. فمن يضلله فما له من هاد ، ومن يهده فما له من مضل .:. وذلك أنه سبحانه عزيز لا غالب له ، ولا منافس ، ولا منازع .:. وهو يمهل ولا يهمل الذين يفسدون فى الأرض ، ويجاهرون الله بالمعصية :

إنه سبحانه ينتقم منهم :

« أليس الله بعزيز ذى انتقام » .:.

وبعد : فيقول الله تعالى :

« قل اللهم مالك الملك ، توئى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شىء قدير » .:.

الباب الثانى

فَاذكرونى أذكُرْكُمْ

فاذكرونى أذكركم :

أخرج الإمام البخارى – رضى الله عنه – من حديث قتادة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه عن ربه – قال : قال الله عز وجل :

« يا ابن آدم ، إن ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى ، وإن ذكرتنى فى ملإ ذكرتك فى ملإ خير منه ، ، وإن دنوت منى شبراً دنوت منك ذراعاً ، وإن دنوت منى ذراعاً دنوت منك باعا ، وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة » ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه – فيما رواه الإمام أحمد وغير واحد من أصحاب الصحاح – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى :

« أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منهم ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة ..

وزاد الامام أحمد فى آخره :

قال قتادة : والله أسرع بالمغفرة ..

وروى الطبرى باسناد حسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله جل ذكره :

« لايذكرنى عبد فى نفسه إلا ذكرته فى ملإ من ملائكتى ، ولا يذكرنى فى ملإ إلا ذكرته فى الملإ الأعلى » ..

فاذكرونى أذكركم :

معنى « اذكرونى » : تذللوا لجلالى .

أذكركم : أكشف الحجب عنكم ، وأفيض عليكم رحمتى وإحسانى ، وأحبكم ، وأرفع ذكركم فى الملإ الأعلى ...

لما فى الحديث :

« من تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعاً » (١) .

وفى الحديث أيضا :

« إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل فقال له : يا جبريل : إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل .. ثم ينادى فى السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض »(٢)

وهذا من جملة الثمرات المعجلة ...

وأما المؤجلة فرؤية وجه ربه الكريم ، ورفع الدرجات ، وغير ذلك . (٣)

---

(١) البخـارى .

(٢) مسلم عن أبى هريرة .

(٣) حاشية الصاوى على الجلالين .

فاذكرونى أذكركم :

ولقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر قال سبحانه :

« واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين » .

وحث الله سبحانه وتعالى على الذكر الكثير فقال آمراً :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ، وسبحوه بكرة وأصيلا »

ووصف الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول المستنيرة التى رضى عنها لأنها اهتدت بهديه فقال سبحانه مادحا لهم :

« إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » .

الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار .

ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لاتخلف الميعاد » .

ويصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بصفات يرضى عنها اختتمها بقوله :

«والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما».

والأمر بالذكر كثير فى القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى :

«فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم».

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية :

«أى بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية»...

ويقول الله سبحانه وتعالى :

«ولذكر الله أكبر».

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الكلمة القرآنية الكريمة :

إن لها وجهان :

أحدهما : أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه .

والآخر : أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه .

والواقع :

أن الإنسان إذا تدبر الآيات القرآنية الواردة فى الذكر فإنه يجدها تستغرق الأوقات والحالات ...

فأينما كان الإنسان وكيفما كان عليه دائما أن يكون ذاكراً لله سبحانه وتعالى .

ولا يشغل ذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان عن عمله : ولقد كان الكثير من كبار الصحابة من كبار التجار ولم يمنعهم ذلك عن أن يكونوا من كبار الذاكرين .

ولقد كان الكثير من كبار الذاكرين أصحاب حرف ومهن ..

لقد كان منهم : « الخوّاص » ، « والخرّاز » ، و «الصّبّاغ» « والحصرى » ، و « الصيرفى » ، « والقفّال » ، « والحصّاد » ، « والحراس » ، و « الفراء » ، و « المقرىء » . فضلا عن اشتغالهم الذى لا يفتر بتعليم المسلمين وهدايتهم .

« فاذكرونى أذكركم »

فضل الذكر :

ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً عن الذكر حاثاً ومادحاً وآمراً :

عن أبى هريرة رضى الله عنه — فيما رواه الإمام مسلم — قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة ، فمر على جبل يقال له « جمدان » فقال :

سيروا : هذا جمدان سبق المفردون

قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟

قال : الذاكرون الله كثيراً .

وذكر هذا الحديث الترمذى وفيه :

يا رسول الله : وما المفردون ؟

قال : المستهترون بذكر الله ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتو الله يوم القيامة خفافاً .

وكلمة « المفردون » — كما يذكر صاحب كتاب الترغيب والترهيب — بفتح الفاء وكسر الراء .

و« المستهترون » — بفتح التاءين هم المولعون بالذكر ، المداوموا عليه ، لا يبالون ما قيل فيهم ، ولا ما فعل بهم (١) .

وعن أبي موسى رضى الله عنه — فيما رواه البخارى — قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مثل الذى يذكر الله « ربه » ، والذى لا يذكر الله ، مثل الحي والميت .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه — فيما رواه الحاكم باسناد صحيح — أن رجلا قال :

يا رسول الله : إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرني بشيء أتشبث به ، قال :

« لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » .

ويحدث الصحابي الجليل « معاذ بن جبل » رضى الله عنه فيقول — فيما رواه الطبراني وغيره : —

---

(١) الترغيب والترهيب .

« إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت :

أى الأعمال أحب إلى الله

قال :

« أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله » .

ومن أجمل الوصايا التى أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنفسها — ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه كلها جميلة نفيسة — وصيته لأم أنس(١) ، حينما قالت له :

« يا رسول الله ... أوصنى » ...

قال :

« أهجرى المعاصى ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله ، فانك لا تأتين بشيء أحب إليه من كثرة ذكره » .

وإن من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله :

« رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه من خشية الله » .

وروى البيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل :

« من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

---

(١) قال الطبرانى : أم أنس هذه — يعنى الثانية — ليست أم أنس بن مالك .

قال الإمام الصاوى :

« وينبغى للإنسان أن يذكر الله كثيراً » ... لقوله تعالى :

« والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما » .

ولا يلتفت لواش ولا رقيب ، لقول السيد الحفنى ، مخاطبا للعارف بالله تعالى أستاذنا الدردير .

يا مبتغى طرق أهل الله والتسليك
دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن « اذكرونى » لرد المعترض يكفيك
فاجعل سلاف الجلالة دائماً فى فيك

اذكرونى أذكركم

الاجتماع على الذكر :

روى الإمام مسلم ، رضى الله عنه ، عن معاوية رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال :

ما أجلسكم ؟ قالوا :

جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا

قال : آلله ما أجلسكم إلا ذلك ؟

قالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذلك

قال : أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبرائيل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه — فيما رواه الترمذى وحسنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » ... قالوا :

وما رياض الجنة ؟

قال : حلق الذكر .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق — يلتمسون أهل الذكر — فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا :

« هلموا إلى حاجتكم » فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا

قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ... ما يقول عبادى ؟

قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ويمجدونك .

قال : فيقول : هل رأوني ؟

قال : فيقولون : لا والله يارب ما رأوك .

قال : فيقول : كيف لو رأوني ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيداً ، وأكثر لك تسبيحاً .

قال : فيقول : فما يسألوني ؟

قال : يقولون : يسألونك الجنة .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها .

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً ، وأعظم فيها رغبة .

قال : فمم يتعوذون ؟

قال : يقولون : يتعوذون من النار .

قال : فيقول : وهل رأوها ؟

قال : يقولون : لا والله ما رأوها .

قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟

قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فراراً ، وأشد لها مخافة .

قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم .

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة .

قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » (١)

وفى رواية مسلم : فيقول :

« وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »

وعن أبى الدرداء ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ليبعثن الله أقواماً يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، تغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء .

قال : فجثا أعرابى على ركبتيه فقال :

يا رسول الله : صفهم لنا نعرفهم »

---

(١) البخارى .

قال : هم المتحابون فى سبيل الله ، من قبائل شتى ، وبلاد ش
يجتمعون على ذكر الله يذكرون »(١) .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، عن رسول الله صل
عليه وسلم قال :

« ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله عز وجل ، لا يريدون
إلا وجهه ، إلا ناداهم مناد من السماء : أن قوموا مغفورا ل
قد بدلت سيئاتكم حسنات » (٢) .

وعن أبى هريرة ، وأبى سعيد رضى الله عنهما ، أنهما
على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الر
ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »(٣)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال :

قلت : يا رسول الله : ما غنيمة مجالس الذكر ؟

قال : غنيمة مجالس الذكر الجنة (٤) .

---

(١) رواه الطبرانى باسناد حسن .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

(٤) رواه احمد باسناد حسن .

ويقول الإمام النووى :

« اعلم أنه كما يستحب الذكر يستحب الجلوس فى حلق أهله ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك ، وسترد فى مواضيعها إن شاء الله ، ويكفى فى ذلك حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة رسول الله ؟ ...

قال : « حلق الذكر » فان لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فاذا أتوا عليهم حفوا بهم » ...

ورينا فى صحيح مسلم عن معاوية رضى الله عنه أنه قال :

« خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه :

فقال :

ما أجلسكم ؟

قالوا :

جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا :

قال :

آلله ... ما أجلسكم إلا ذاك ؟ أما إنى لم استحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » ...

وفى صحيح مسلم أيضاً عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى ، إلا حفتهم الملائكة ، و... الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

وقال الإمام الصاوى :

(وهل الأفضل الذكر مع الناس ، أو الذكر فى خلوة ؟)

والحق التفصيل : وهو :

إن كان الإنسان ينشط وحده ، ولم يكن مدعوا من الله لـ... الناس فالخلوة فى حقه أفضل ، وإلا فذكره مع الناس أفضل :

إما لينشط ، أو لتقتدى الناس به .

نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره)(١) .

فاذكرونى أذكركم :

أنواع الذكر :

ومن المعروف : أن الذكر على ضربين :

ذكر اللسان ،

وذكر القلب .

(١) حاشية الصاوى ، جـ ١ ، ص : ٦٣ .

فذكر اللسان : به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ،

والتأثير لذكر القلب ،

يقول الإمام القشيرى :

« فاذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه ، فهو الكامل فى وصفه فى حال سلوكه » .

ويقول الإمام الصاوى :

« ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور ، لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد فلا يترك الإنسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلا ، بل يكرر حتى يوقد ، فاذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته ، لقوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا »

وخفت العبادة على الأعضاء ، فلا يكون على الشخص كلفة فيها »، قال العارف :

إذا رفع الحجاب فلا ملالة بتوفيق الإله ولا مشقة

ويكفى الذاكر من الشرف ، قول الله تعالى فى الحديث القدسى :

---

(١) الأعراف - آية : ٢٠١ .

« أنا جليس من ذكرني »(١)   وقوله تعالى :

« وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » .

ويقول الإمام النووى :

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان :

والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً ، فان اقتصر أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لا ينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القل خوفا من أن يظن به الرياء ، بل يذكر بهما جميعاً ويقصد وجه الله تعالى ، وقد قدمنا عن الفضيل رحمه الله :

« أن ترك العمل لأجل الناس رياء » .

ولو فتح الإنسان عليه باب ملاحظة الناس ، والاحتراز م تطرق ظنونهم الباطلة ، لانسد عليه أكثر أبواب الخير ، وضيع ع ، وليس هذا طريقة العارفين ا

(١) الحاكم بمعناه ، بسند صحيح وروى أحمد وابن ماجه بسند صحيح لها مع عبدى ما ذكرنى ... إلخ .
(٢) الأنفال ، آية ٤٥ حاشية الصادى على الجلالين ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

فاذكرونى أذكركم :

أوقات الذكر :

وليس للذكر وقت معين :

وذلك أن جميع الأوقات صالحة للذكر . يقول تعالى :

« وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً (يخلف كل واحد الآخر) لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا » .

لقد جعل الله سبحانه جميع آناء الليل والنهار صالحة للذكر :

يقول ابن عباس فى قوله تعالى :

« فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا عَلَى جُنُوبِكُمْ » .

يقول ، أى : بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية .

والآيات فى القرآن كثيرة تبين أن ذكر الله مستحب فى جميع الأمكنة والأزمنة .

ويقول صاحب الرسالة القشيرية فى ذلك :

« ومن خصائص الذكر : أنه غير موقت ، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله : إما فرضاً ، وإما ندباً ، والصلاة : وإن كانت أشرف العبادات فقد لا تجوز فى بعض الأوقات ، والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات .

قال الله تعالى :

« الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » .

كل هذا أدى بالإمام القشيرى إلى أن يقول معبراً عن ا الصادق :

« والذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر »

الباب الثالث

صيغ الذكر

الفصل الأول

الاستغفار

الاستغفار :

ويبتدىء الذكر بالاستغفار :

وعن الإستغفار يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عباس رضى الله عنهما :

« من لزم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب »(١) .

ومن صيغ الإستغفار :

« رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ » (٢)

ومنها :

« لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِين » .

ومنها :

« اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفرلى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم » .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى .

(٢) الأعراف – آية ، ٢٣ .

ويروى علقمة ويروى الأسود ، عن عبد الله بن مس
رضى الله عنه ، أنه قال :

(« فى كتاب الله عز وجل آيتان ، ما أذنب عبد ذنباً فقر
واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له :

قوله تعالى :

« والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ، ذَكَ
اللهَ ، فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ ، وَ
يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ » .

وقوله عز وجل :

« وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ
غَفُورًا رَحِيمًا » .

ولقد قال صلى الله عليه وسلم فى شأن الإستغفار الخالص

« من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل
فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وهذا الحديث الشريف يسير فى إنسجام مع قوله تعالى :

« اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ، .

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا .

وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُ
أَنْهَارًا »

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الجميل :

« اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا ، وإذا أساءوا استغفروا » .

وسيد الاستغفار هو — كما أخبر الصادق المصدوق — صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .

ويروى الإمام الغزالى عن بعض العلماء أنه قال :

« العبد بين ذنب ونعمة ، لا يصلحهما إلا الاستغفار والحمد »

ويروى عن قتادة رحمه الله قوله :

« القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار » .

الفصل الثالث
القــرآن

قــراءة القــرآن

ومن الذكر :

عن عبد الله بن مسعود ، رضى الله عنه، فيما رواه الترمذى رحمه الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : « الم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » » .

وفيما رواه الإمام مسلم بسنده ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

ولقد وردت أحاديث صحيحة وحسنة فى فضل سور وآيات معينة من القرآن الكريم :: نذكر بعضها ونحن نعلم أن أحاديث كثيرة قد ذكرت فى فضل سور القرآن وليست صحيحة : ومن أجل ذلك تحرينا هنا الأحاديث التى رويت فى كتب الصحاح ، أو بأسانيد صحيحة أو حسنة .

الفاتحة

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج على أبي بن كعب فقال : « يا أبي » وهو يُصلي ، فالتفت أبي فلم يجبه ، وصلى أبي فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« السلام عليك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وعليك السلام ، ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك ؟

فقال : يا رسول الله ، إني كنت في الصلاة .

قال : فلم تجد فيما أوحي الله إلى أن : « استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

قال : بلى .. ولا أعود إن شاء الله ..

قال : « أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ، ولا في الإنجيل ، ولا في الزبور ، ولا في الفرقان مثلها » ؟

قال : نعم : يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف تقرأ في الصلاة ؟ »

قال : فقرأ أم القرآن .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذي نفسي بيده ، ما أنزل الله في التوراة ، ولا في الإنجيل ،

ولا فى الزبور ، ولا فى الفرقان مثلها ، وإنها سبع من المثانى والقرآ
العظيم الذى أعطيته (١) » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى ا
عليه وسلم يقول : قال الله تعالى :

« قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل » .

وفى رواية : « فنصفها لى ونصفها لعبدى » ..

فإذا قال العبد : « الحمد لله رب العالمين » قال الله : حمدنى
عبدى ، فإذا قال : « الرحمن الرحيم » قال : أثنى على عبدى
فإذا قال : « مالك يوم الدين » قال : مجدنى عبدى ، فإذا قال
« إياك نَعْبُدُ وإياك نستعين » قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى
ما سأل » .

فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير
المغضوب عليهم ولا الضالين » قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل (٢)

الفاتحة وخواتيم سورة البقرة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« بينا جبريل عليه السلام قاعد عند النبى صلى الله عليه وسل
سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح

---

(١) رواه الترمذى . وقال : حديث حسن صحيح . ورواه ابن خزيمة وابن
حبان فى صحيحيهما ، والحاكم باختصار عن أبى هريرة عن أبى ، وقال الحاكم صحيح على
شرط مسلم .

(٢) رواه مسلم .

لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال :

« أبشر بنورين أوتيتهما ، لم يؤتهما نبي قبلك :

فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته(١) » .

ومما ورد فى فضل الفاتحة ما رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال :

كنا فى مسير لنا ، فنزلنا ، فجاءت جارية فقالت : إن سيد الحى سليم ، وإن نفرنا غيب ، فهل منكم راق ، فقام معها رجل ما كنا نأبنه(٢) برقية فرقاه فبرأ ، فأمر له بثلاثين شاة ، وسقانا لبنا ، فلما رجع قلنا له : أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى ؟ »

قال : لا .. ما رقيت إلا بأم الكتاب ،

قلنا : لا تحدثوا شيئا حتى نأتى أو نسأل النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما قدمنا المدينة .. ذكرناه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال :

« وما كان يدريه أنها رقية ، أقسموا واضربوا لى بسهم(٣) » .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج(٤) ثلاثا غير تمام » .

---

(١) رواه مسلم والنسائى والحاكم ، وقال صحيح على شرطهما ، « النقيض » بالمعجمة : هو الصوت .

(٢) نذكره . (٣) البخارى . (٤) خداج : ناقصة .

سورتى البقرة وآل عمران

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال : سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اقرءوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القي شفيعا لأصحابه ،

اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فإنهما يات يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان — أو كأنهما فرقان من صوافت ، تحاجان عن أصحابهما ، اقرءوا سورة البقرة ، فإن أخذ بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة (١) » .

الغيايتان : مثنى غياية : وهى كل شىء أظل الإنسان فوق رأ كالسحابة .

قال معاوية بن سلام : بلغنى أن البطلة السحرة .

وعن أسيد بن حضير — رضى الله عنه — أنه قال :

« يا رسول الله : بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وج من خلفى ، فظننت أن فرسى انطلق ، فقال رسول الله صلى الله علي وسلم :

« اقرأ أبا عتيك » فالتفت ، فاذا مثل المصباح مدلى بين السما والأرض ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إقرأ أبا عتيك » فقال : يا رسول الله ... فما استطعت أمضى .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه مسلم .

تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة ، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب(١) » .

وروى البيهقي في شعب الإيمان - عن الصلصال - بسند صحيح - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ سورة البقرة توج بتاج في الجنة(٢) » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد ، فاستقرأهم ، فقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال :

« ما معك يا فلان ؟ »

قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة ..

قال : أمعك سورة البقرة ؟

قال : نعم .

قال : إذهب فأنت أميرهم .

فقال رجل من أشرافهم :

« والله يا رسول الله ، ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا خشية ألا أقوم بها ؟ » .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه البخاري ، ومسلم ، من حديث أبي سعيد بنحوه .

(٢) الجامع الصغير للسيوطي

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعلموا القرآن فاقرؤه واقرئوا .. فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكاً ، يفوح بريحه كل مكان ومثل من تعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب وكىء على مسك»(١)

وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، وإن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله شيطان »(٢) »

آيه الكرسى وأواخر البقرة

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»(٣) »

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« يا أبا المنذر — أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟

قال : قلت : الله ورسوله أعلم ...

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن .

(٢) رواه الترمذى بسند صحيح .

(٣) النسائى وابن حيان بسند صحيح .

قال : يا أبا المنذر … أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم ؟

قال : قلت : « الله لا إله إلا هو الحى القيوم » .

قال : فضرب فى صدرى وقال :

« ليهنك العلم أبا المنذر » (١)

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال :

وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت ، فجعل يحثو(٢) من الطعام ، فأخذته وقلت : والله لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : إنى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة .

قال : فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« يا أبا هريرة — ما فعل أسيرك البارحة ؟ »

قال : قلت : يا رسول الله ، شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته ، فخليت سبيله ، قال : أما إنه قد كذبك وسيعود … فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيعود … فرصدته ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : دعنى فإنى محتاج وعلى عيال لا أعود — فرحمته ، فخليت سبيله ، فأصبحت فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه مسلم وأبو داود .

(٢) يأخذ بكفه .

يا أبا هريرة : ما فعل أسيرك ؟

قلت : يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته فخلي سبيله ، قال : أما إنه قد كذبك وسيعود ... فرصدته الثالثة ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقلت لأرفعنك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم لا تعود ثم تعود

قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : ما هي ؟

قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم » حتى تختم الآية ... فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح ، فخليت سبيله فأصبحت ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما فعل أسيرك البارحة » ؟

قلت : يا رسول الله — زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله فخليت سبيله ، قال : ما هي :

قلت : قال لي : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي أولها حتى تختم : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال لي : لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح — وكانوا أحرص شيء على الخير — ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أما إنه قد صدقك وهو كذوب » ... « تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ ...

قال : لا

قال : ذاك شيطان (١)

وروى مثله عن أبي أيوب الأنصارى مع الغول ... (٢)

وعن أبي مسعود رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« الآيتان من آخر سورة البقرة ، من قرأهما فى ليلة كفتاه »(٣)

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام ، أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ، ولا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان » (٤)

وروى مسلم فى صحيحه — عن عبد الله (٥) — قال :

« لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة — إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها — قال :

---

(١) البخارى .

(٢) البخارى والترمذى .

(٣) رواه الأربعة .

(٤) الترمذى بسند حسن .

(٥) أى : ابن مسعود .

« إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى » .

قال : فراش من ذهب ... قال : فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا :

« أعطى الصلوات الخمس ، وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات » .

وعن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة ، فإني أعطيتهما من تحت العرش »(١)

آل عمران

عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين :

« وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم » وفاتحة آل عمران « الم ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم » (٢) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال ... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن (ابن كثير) .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وسنده في صحيح « السيوطي » .

« اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى ثلاث سور من القرآن : فى البقرة ، وآل عمران ، وطه »(١) .

قال هشام بن عمار خطيب دمشق :

أما البقرة (فالله لا إله إلا هو الحى القيوم)

وفى آل عمران (آلم ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم

(وفى طه ") وعنت الوجوه للحى القيوم (٢) .

سورة خاصة

عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال فى بنى إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى (٣)

وكان صلى الله عليه وسلم (لا ينام حتى يقرأ بنى إسرائيل والزمر (٤) .

سورة الكهف

عن البراء قال :

كان رجل يقرأ سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين ، فتغشته سحابة ، فجعلت تدنو وتدنو ، وجعل فرسه ينفر . فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال :

---

(١) ابن ماجه والطبرانى والحاكم بسند صحيح (سيوطى) والمراد به (الله لا إله إلا هو) أو « الحى القيوم » .

(٢) ابن كثير فى تفسير (آية الكرسى) .

(٣) البخارى .

(٤) رواه أحمد والترمذى والحاكم عن عائشة بسند صحيح « سيوطى » .

تلك السكينة تنزلت للقرآن ...(١) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قا

« من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم
الدجال »(٢)

وعن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي صلى
عليه وسلم قال :

« من قرأ الكهف كما أنزلت ، كانت له نوراً يوم القيامة ،
مقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الد-
لم يسلط عليه »(٣) .

وعن أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه و
قال :

« من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من ال
ما بين الجمعتين » .

وعن أبي الدرداء عن الرسول صلى الله عليه وسلم : قال :

« من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من ف
الدجال » (٤) .

---

(١) البخـــارى .
(٢) رواه مسلم وأبو داود .
(٣) الحاكم وصححه .
(٤) رواه أحمد ومسلم والنسائي .

وعن أبي الدرداء عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال »(١)

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة ، أضاء له من النور ما بين الجمعتين »(٢) .

وفي رواية عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له النور ما بينه وبين البيت العتيق »(٣) .

سورة يس

عن معقل بن يسار — رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« قلب القرآن يس ، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، اقرءوها على موتاكم »(٤) .

---

(١) الترمذي بسند صحيح .
(٢) الحاكم والبيهقي بسند صحيح .
(٣) البيهقي بسند حسن .
(٤) أحمد وأبو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجه والحاكم وصححه .

سورة الدخان

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان فى ليلة جمعة أو يوم جمعة بنى الله له بيتاً فى الجنة» (١) .

سورة الفتح

عن زيد بن أسلم عن أبيه ، أن رسول الله صلى الله عليه كان يسير فى بعض أسفاره ، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً فسأله عمر عن شيء ، فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه ، ثم سأله فلم يجبه ، فقال عمر :

ثكلتك أمك ، نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ، كل ذلك لا يجيبك ، قال عمر : فحركت بعيرى حتى تقدمت أمام الناس ، وخشيت أن ينزل فى قرآن ، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ ... قال : فقلت : لقد خشيت أن يكون نزل فى قرآن قال :

فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه ، فقال : «لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» (٢) .

---

(١) الطبرانى بسند حسن (سيوطى) .
(٢) البخارى .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كان لا ينام حتى يقرأ : آلم : تنزيل السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك » (١) .

سورة الملك

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن سورة في القرآن ثلاثون آية ، شفعت لرجل ، حتى غفر له ، وهي :

« تبارك الذي بيده الملك » (٢) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« ضرب بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يعلم ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة « تبارك الذي بيده الملك حتى ختمها » فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

يا رسول الله ، ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ تبارك حتى ختمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » (٣) .

---

(١) أحمد والترمذي والنسائي والحاكم بسند صحيح .

(٢) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم بسند صحيح .

(٣) الترمذي بسند حسن .

سورة التكوير ، وسورة الانفطار ، وسورة الانشقاق :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
وسلم : «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين فليقرأ
« إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا
انشقت » (١)

سورة الزلزلة، وسورة الكافرون، وسورة الإخلاص، وسورة ال

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
وسلم :

« إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل يا أيها الكافرون ،
ربع القرآن ، وقل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » (٢) .

وعن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه
قال لرجل من أصحابه :

« هل تزوجت يا فلان ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولا ع
ما أتزوج به .

قال : « أليس معك قل هو الله أحد ؟

قال : بلى .

قال : « ثلث القرآن » قال : « أليس معك إذا جاء نصر
والفتح » ؟

---

(١) رواه الترمذى وغيره .

(٢) الترمذى والحاكم والبيهقى فى الشعب بسند صحيح (سيوطى) .

قال : بلى .

قال : « ربع القرآن » ... قال : « أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ »

قال : بلى .

قال : « ربع القرآن » ... قال : « أليس معك إذا زلزلت الأرض ؟ »

قال : بلى .

قال : « ربع القرآن » ... « تزوج ... تزوج » (١) .

سورة الإخلاص

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« احشدوا ، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن ، فحشد من حشد ، ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ : « قل هو الله أحد » ثم دخل... فقال بعضنا لبعض . إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء ، فذلك الذي أدخله ، ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال . إني قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ... ألا إنها تعدل ثلث القرآن » (٢) .

---

(١) رواه الترمذي عن مسلمة بن ردان عن أنس وقال : هذا حديث حسن .
(٢) رواه مسلم ، والترمذي .

وعن عائشة رضى الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه و
بعث رجلا على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم
بـ «قل هو الله أحد..» فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله علي
فقال .

سلوه : لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه ، فقال : لأنها
الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسل

«أخبروه أن الله يحبه»(١) .

ورواه البخارى أيضاً والترمذى عن أنس أطول منه ،
فى آخره :

« فلما أتاهم النبي صلى الله عليه وسلم ، أخبروه الخبر ، فق
« يا فلان ... ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك؟
وما يحملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ؟
فقال : إنى أحبها ، فقال : « حبك إياها أدخلك الجنة » » .

المعوذتان

عن عقبة بن عامر — رضى الله تعالى عنه — قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ألم تر آيات أنزلت الليلة ، لم ير مثلهن !

---

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس » (١) .

وعن عبد الله بن حبيب رضى الله عنه قال :

قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

اقرأ « قل هو الله أحد » و« المعوذتين » حين تمسى ، وحين تصبح ، ثلاث مرات ... تكفك من كل شئ » ... (٢) .

وكما بدأنا الحديث عن القرآن بذكر فضله ، فإنا نختمه أيضاً بأحاديث فى فضله :

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه — فيما رواه الشيخان — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى :

« من شغله القرآن عن مسألتى ، أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام ، كفضل الله على خلقه » (٣)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه — وهو عليه شاق — له أجران » .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذى .

وفي رواية :

« والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران » (١)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« يجيء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يارب حله فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يارب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له :

« اقرأ وارق ، ويزداد بكل آية حسنة » (٢)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل ، وفي جوفه كلام الله » (٣).

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

ل به ألبس والده يوم القيامة تاجاً
مثل الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما
كسبنا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن » (٤)

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، واللفظ له .

(٢) رواه الترمذي وحسنه ، وابن خزيمة ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .

(٣) الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

(٤) الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

وبعد :

فيقول الله تعالى :

« يا أيها الناسُ قد جاءتكم موعظةٌ مِنْ ربكُمْ ، وشِفَاءُ لِمَا فى الصُّدُور ، وهُدًى ورحمةٌ للمؤمِنِين » (١)

ويقول تعالى :

« أقِم الصلاة لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إلى غسق الليل ، وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان مشهودا ،

ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً ، وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً » (٢)

ويقول تعالى :

« لو أنزلنا هذَا القرآنَ على جبَلٍ لرأيْتَه خاشِعًا متصدِّعًا من خَشْيَةِ اللهِ وتِلْكَ الأمْثَالُ نضربها للناس لعلهم يتفكرون » (٣)

---

(١) سورة يونس ، آية : ٥٧ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٧٨ — ٨٢ .

(٣) سورة الحشر ، آية : ٢١ .

وتأمل فى قوله تعالى :

« وَمَا كان لبشرٍ أن يكلِّمَهُ اللهُ إلَّا وحْيًا ، أو من وراء حـ
أو يرسِلَ رسولا فيوحى بإذنه ما يشاءُ ، إنهُ عليٌّ حكيم » (١

إنه سبحانه يصف نفسه بهذين الوصفين الجليلين : على ، حَ
هذان الوصفان الجليلان يصف الله سبحانه بهما القرآن الكريم فيقو

« حم . والكتابِ المُبِين .
إنَّا جَعَلناهُ قرآنًا عَرَبيًّا لَعَلَّكُمْ تعقِلُون .
وإنَّهُ فى أُمِّ الكتابِ لَدَيْنَا لعَلِيٌّ حكيمٌ »

وأما بعد :

فقد حاول بعض السذج كأبى عصمة : نوح بن أبى مر
أن يرغب الناس فى القرآن ، فوضع أحاديث عن عكرمة
ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة .: فقيل له فى ذلك ؟
فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشغ
بن إسحاق ، فوضعت هذا الحد

ـ وهى سذاجة ـ لأنه يظن أن كل سورة فى القرآن تحتاج
لنص خاص للحث على قراءتها وبيان فضلها .

إن آيات كثيرة تمجد القرآن وتحث على القرآن ، وترشد
هداية القرآن ككل » ، وتدعو إلى تدبره ..،

(١) سورة الشورى ، آية : ٥١ .
(٢) تدريب الراوى للسيوطى .

قال تعالى :

« كِتابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيتذكر أولوا الألباب » .

وقال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَافى الصُّدُور ، وَهُدًى ورَحْمَةٌ لِلْمُؤمِنِين » .

وقال :

« ونُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَاهُوَ شفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِين »

وقال :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ ، وَلَوْكَانَ مِنْ عند غير الله ، لوجَدُوا فيه اخْتِلَافًا كَثِيرًا » .

ولقد حث الله على تلاوته فقال :

« أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوك الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ، وَقُرْآنَ الفَجْرِ إن قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهودًا »

وقال :

« إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، يرجُونَ تجارَةً لَنْ تبُور . لِيُوفِّيَهُمْ

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ، إنه غفور شكور . والذى أ
إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه » .

وقال :

« ورَتِّل القُرْآنَ تَرْتِيلا »

ووردت أحاديث كثيرة تذكر فضل القرآن ككل ، وتدع
تلاوته ، والإكثار منها ، وتذكر آداب التلاوة ، والزمن الذى
أن تتم فيه :

عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله
وسلم قال :

« لا حسد إلا فى اثنتين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه
الليل وآناء النهار ، فسمعه جار له فقال : ليتنى أوتيت مثل ما
فلان ، فعملت مثل ما يعمل .

ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق ، فقال رجل: ليتنى أو
مثل ما أوتى فلان ، فعملت مثل ما يعمل » .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه : أن امرأة جاءت رسول
صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله :ـ جئت لأهب لك نفسى
فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعد النظر إليها وصوبه
ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست ، ف
رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنى

---

(١) أى : رفعه وحفظه .

فقال : هل عندك من شيء ؟ .فقال لا والله يا رسول الله قال : اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً ؟ ، فذهب ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ما وجدت شيئاً ، قال : انظر ولو خاتما من حديد ، فذهب ، ثم رجع فقال : لا والله يا رسول الله ، ولا خاتما من حديد ، ولكن هذا إزارى :. قال سهل : ماله رداء فلها نصفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تصنع بازارك ، إن لبسته لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء ، فجلس الرجل حتى طال مجلسه ، ثم قام ، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا ، فأمر به فدعى ، فلما جاء قال : ماذا معك من القرآن ؟ قال : معى سورة كذا ، وسورة كذا ، عدها . قال : أتقرؤهن عن ظهر قلبك ؟ قال نعم ، قال : « اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن »(١)

وعن عبد الله بن مغفل — رضي الله عنه — قال :

« رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ ، وهو على ناقته أو جمله ، وهى تسير به ، وهو يقرأ سورة الفتح ، أو من سورة الفتح قراءة لينة ، يقرأ وهو يرجع »(٢)

وعن قتادة قال :

سئل أنس : كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ؟

---

(١) البخاري .

(٢) البخاري .

فقال :

«كانت مداً، ثم قرأ » بسم الله الرحمن الرحيم » يمد بـ« بسم الله » ويمد بالرحمن ، ويمد بالرحيم(١) »

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحب القراءة الحسنة والصوت الحسن ويشجع على إجادة التلاوة :

لقد قال لأبي موسى الأشعرى رضى الله عنه :

« يا أبا موسى : لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود »(٢)

وقال لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه :

« اقرأ على .. فقال : يا رسول الله .. ؟ .. أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : نعم — فقرأ عبد الله سورة النساء حتى أتى إلى هذه الآية :

« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا) »

فقال صلى الله عليه وسلم : حسبك الآن .. فالتفت إليه عبد الله .. فإذا عيناه تذرفان(٣)

ولقد شغفت الصحابة بالقرآن واستعذبوه وأقبلوا فى نهم على قراءته لقد كان عبد الله بن عمرو يختم القرآن كل ليلة ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : اقرأ القرآن فى كل شهر .. فقال : إنى أطيق أكثر من ذلك فما زال حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١، ٢، ٣، ٤) البخارى .

« فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك » (١)

ولقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلمه فقال :

« خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وفى رواية :

« إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » .. (٢)

وكان يشجع الصبيان على تعلمه ، وكان تعلمه مبعث فخر وإعتزاز حتى إن ابن عباس قال :

« توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشر سنين ، وقد قرأت المحكم » وفى رواية عن سعيد بن جبير : فقلت : وما المحكم ؟ قال : المفصل » (٣)

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من نسيان القرآن وأمر بتعاهده فقال :

« إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ، إن عاهد عليها أمسكها ، وإن أطلقها ذهب » (١)

وعن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« بئس ما لأحدهم أن يقول : نسيت آية كيت وكيت .. بل

(٤،٣،٢،١) البخارى .

لسى ، واستذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا (١) من صدور الرجال من النعم » .. (٢)

وقال صلى الله عليه وسلم :

« تعاهدوا القرآن ، فوالذى نفسى بيده لهو أشد تفصيا من الإبل فى عقلها » .. (٣)

ولعل كثرة الثواب فى تلاوته لسرعة تفصيه وفجاءه نسيانه وإحتياجه الدائم إلى التعاهد ومداومة القراءة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اقرءوا القرآن ، فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » (٤)

وقال :

« يوتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا، تقدمه سورة البقرة ، وآل عمران تحاجان عن صاحبهما » (٥)

وقال :

« الذى يقرأ القرآن وهو ما هربه ، مع السفرة الكرام والبررة والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه (١) ، وهو عليه شاق له أجران » (٢)

(١ ، ٢ ، ٣) البخارى : تخلصا وذهابا .
(٤ ، ٥) رواه مسلم .
(١) يتردد فى قراءته ليثقله عليه .
(٢) متفق عليه .

وقال :

« إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين » (١)

وقال :

« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : الم حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » (٢)

وقال :

« إن الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب » (٣)

وقال :

« يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها » (٤)

نريد أن نقول :

إن توجيه الأنظار إلى آيات وسور مخصوصة إنما هو للتوكيد عليها ، والمداومة على قراءتها ، للإنتفاع بخاصيتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى : لسهولة حفظها بالنسبة إلى غيرها — خاصة لمن

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه الترمذى ، وقال حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذى ، وقال حسن صحيح .

(٤) أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح .

لا يحفظون القرآن ـــ وحفظها طريق إلى تذوق حلاوة القرآن ومحاولة التزود منه قدر الطاقة .

ثم إن زيادة فضلها على غيرها من القرآن لا يؤثر فى فضل القرآن، ولا ينقص من الحث عليه ، بل يزيده فضلا وثناء :

إنه كل متكامل ، وكله كريم وعظيم ونافع

إنه كنز ثمين ، ولكن بعضه أثمن وأنفس

فلا حاجة لإختلاق أخبار ولو بقصد صحيح فذلك كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل :

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

وتخصيص بعضه بهذا التركيز مقصود لحكمة هامة بعضها ماذكرناه؛ وكل سورة بل كل آية منه فيها نور ، وفيها ضياء وفيها هدى للمتقين وما أصدق قوله تعالى :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ، وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » .

الفصل الثالث

التهليل

والتهليل : هو الذكر بلا اله الا الله

وقد روى الترمذى بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير » .

وقد أخرج الإمامان — البخارى ومسلم — رضى الله عنهما ، من حديث أبى هريرة ، نضر الله وجهه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك » .

وروى الإمام البخارى بسنده ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« من تعار من الليل ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قال :

« اللهم اغفر لى ، غفر له ، أو دعا استجيب له ، فان توضأ وصلى ، قبلت صلاته »

ومما وصفت به كلمة : لا إله إلا الله :: أنها : «كلمة التوحيد ، وهى كلمة الإخلاص ، وهى : كلمة التقوى ، وهى : الكلمة الطيبة ، وهى : دعوة الحق ، وهى : العروة الوثقى ، وهى : ثمن الجنة »(١) .

وما من شك فى أن كلمة التوحيد إذا قيلت باللسان نابعة من القلب إنما تمثل التوحيد الخالص ، وكانت تعبيراً صادقاً عن : « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد »

وكانت تعبيرا عن :

« إياك نعبد ، وإياك نستعين »

وكانت تحطيما للأصنام النفسية والمادية ، وتطهيرا اللإنسان عن

---

(١) إحياء علوم الدين .

لشرك فى جميع ألوانه ، ومن اجل ذلك كانت عمادا من عمد لأوراد الصوفية :

وعمد الأوراد الصوفية :

١ — إستغفار

٢ — وتوحيد « لا إله إلا الله »

٣ — وصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم :

فهى تمثل ثلث الأوراد الصوفية ، بل تمثل الثلث الأساسى ، فبدونها لا يتحقق السلوك إلى الله على أى وضع من الأوضاع .

ونختم هذا بحديث الإمام البخارى :

فقد روى عن أبَىَ رضى الله عنه قال :

قلت : يا رسول الله — من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك : لما رأيت من حرصك على الحديث — أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال :

« لا إله إلا الله » خالصا من قلبه أو نفسه .

وبحديث الحاكم الذى قال عنه إنه صحيح الإسناد :

« أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »

ومن كلام الإمام الغزالى :

« نسأل الله تعالى ، أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لا إله إلا الله ، حالاً ومقالا ، وظاهرا وباطناً ، حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فإن من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه »

الفصل الرابع

التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة

يقول الله تعالى :

« تسبِّح له السمٰواتُ السبعُ والأَرضُ ومن فِيهن ، وإن من شيءٍ إلَّا يسبِّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا » (١)

ويقول سبحانه :

« وسبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قبْلَ طلُوعِ الشمس وقبل الغروب ، ومن اللَّيلِ فسبِّحه وأَدبَارَ السجوُد » (٢)

ويقول تعالى :

« وسبِّحْ بحمدِ ربِّك حين تقومُ .

ومن اللَّيْلِ فسبِّحْهُ وإِدْبَارَ ا—

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

(٢) سورة « ق » ، آية : ٣٩ — ٤٠ .

(٣) سورة الطور ، آية : ٤٨ — ٤٩ .

ويقول :

« فسبح بِحَمْدِ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ ، إنه كان توَّابا » (١)

والآيات القرآنية الكريمة تقرن التسبيح والتحميد تارة ، وتفردهما أخرى . أما الأحاديث النبوية الشريفة فانها أيضاً تقرن التسبيح بالحمد تارة ، وتفردهما أخرى ، وتتحدث كثيراً عنهما مع التهليل والتكبير والحوقلة ، .. ومن أجل ذلك سنتحدث عنها مجتمعة مبينين مكانتها في الذكر ، عن طريق الأحاديث الشريفة ..

ولقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة قائلا :

« دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهمْ فِيهَا سَلَامٌ ، وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين » (٢)

ولقد روى الإمام مسلم بسنده ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد ثلاثا وثلاثين ، وكبر ثلاثاوثلاثين ، وختم المائةبلا إله إلا الله ، وحده لا شريك له له ، الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » (٣)

---

(١) سورة النصر ، آية : ٣ .
(٢) سورة يونس ، آية : ١٠ .
(٣) رواه مسلم .

وعن جابر رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله » (١)

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه »(٢) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »(٣) .

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ قلت : يا رسول الله أخبرنى بأحب الكلام إلى الله ، فقال :

« أحب الكلام إلى الله ، سب

---

(١) ابن ماجه والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٢) الترمذى .
(٣) البخارى ومسلم .
(٤) مسلم والنسائى والترمذى .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قال : سبحان الله وبحمده ، فى يوم مائة مرة ، غفرت له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر »(١) .

وعن سليمان بن يسار رضى الله عنه ، عن رجل من الأنصار ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« قال نوح لابنه : إنى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها : أوصيك باثنتين ، وأنهاك عن اثنتين ، أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الأرض ، أوصيك بلا إله إلا الله : فان السماوات والأرض لو كانتا حلقة قصمتهما ، ولو كانتا فى كفة وزنتهما ... ، وأوصيك بسبحان الله وبحمده : فانهما صلاة الخلق ، وبهما يرزق الخلق ، « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفوراً » .

وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله منهما وصالح خلقه : أنهاك عن الشرك والكبر »(٢) .

وعن مصعب بن سعد رضى الله عنه قال : حدثنى أبى قال :

كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(١) مسلم والترمذى .

(٢) النسائى والبزار والحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

« أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ؟

فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟

قال : يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة ، أو تحط عنه ألف خطيئة »(١) .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس »(٢) .

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت »(٣) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقيت إبراهيم عليه السلام ،
أقرئ أمتك منى السلام ، وأخبرهم ،

---

(١) مسلم والترمذى وصححه ، والنسائى .

(٢) مسلم والترمذى .

(٣) مسلم وابن ماجه .

عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »(١)

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم :

يا رسول الله : ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال :

« أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة » .

قالوا : يا رسول الله — أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟

قال : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »(٢) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : « وما هن يا رسول الله ؟

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) مسلم وابن ماجه : (الدثور) بضم الدال وثر — بفتحها — وهو المال الكثير (البضع) بضم الموحدة ، وهو الجماع وقيل الفرج نفسه .

قال : التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله »(١) .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

« إذا حدثتكم بحديث آتيناكم بتصديق ذلك فى كتاب الله : إن العبد إذا قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، وتبارك الله ، قبض عليهن ملك فضمهن تحت جناحه وصعد بهن ، لا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يحيا بهن وجه الرحمن ، ثم تلا عبد الله :

« إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » .

قلت : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟

قال : « المساجد » .

قلت : وما الرتع ؟

قال : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » (٣)

---

(١) أحمد وأبو يعلى والنسائى .

(٢) الحاكم ، وقال صحيح الإسناد .

(٣) رواه الترمذى .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أول من يدعى إلى الجنة ، الذين يحمدون الله عز وجل في السراء والضراء »(١) .

وعن جويرية رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال :

ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم . قال النبي صلى الله عليه وسلم :

« لقد قلت بعدك أربع كلمات ، ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن :

سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته(٢) » .

وعن أبي أيوب رضي الله عنه قال :

قال رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، ورأى أنه قد هجم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء يكرهه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هو ؟ فإنه لم يقل إلا صواباً » » .

---

(١) ابن ابى الدنيا ك البزار والطبرانى .

(٢) مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه والترمذى .

فقال الرجل : أنا قلتها يا رسول الله أرجو بها الخير ، فقال : «والذى نفسي بيده لقد رأيت ثلاثة عشر ملكا يبتدرون كلمتك ، أيهم يرفعها إلى الله تبارك وتعالى ؟ » (١) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له :

« قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة » (٢) .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال :

«كنت أمشي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال لى :

« يا أبا ذر ، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟

قلت : بلى ، قال :

« لا حول ولا قوة إلا بالله »(٢)

ونعود إلى التسبيح من جديد :

يقول الله تعالى فى سورة الإسراء :

« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفوراً »(٣) .

---

(١) ابن أبى الدنيا والطبرانى باسناد حسن واللفظ له ، والبيهقى .

(٢) ابن ماجه وابن أبى الدنيا وابن حبان فى صحيحه .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٤٤ .

وفى معنى هذه الآية الكريمة يقول الله تعالى فى أول سورة الحديد :

« سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » .

ويقول سبحانه فى أول سورة الحشر :

« سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم » .

وافتتح الله سورة الصف وسورة الجمعة وسورة التغابن بالأخبار عن تسبيح الكون له سبحانه .

ويقرن علماؤنا الأعلام رضى الله عنهم بين التسبيح لله سبحانه وبين السجود له ، وكما أخبر الله سبحانه بأن الكون كله ، جماده ونباته وحيوانه ، وجنه وإنسه وملائكته يسبح له سبحانه ، فإنه أخبر أن الكون أيضاً بما فيه ومن فيه يسجد له تعالى ... يقول سبحانه :

« ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض ، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ، ومن يهن الله فما له من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء »(١) .

والواقع أن تسبيح الله تسبيحاً حقيقياً ، والسجود له سجوداً صادقاً ، يرتبطان فى وحدة منسجمة فيعبران عن التنزيه القلبي الخالص .

---

(١) سورة الحج ، آية : ١٨ .

والآيات القرآنية الكثيرة المتعلقة بالتسبيح ، والمتعلقة بالسجود ،
تأتف كلها لتدل دلالة بينة على أن الحياة منبثة فى جميع أجزاء العالم ،
ية فى كل خلية من خلاياه ، وفى كل ذرة من ذراته .

ويؤيد ذلك الأحاديث التى وردت بتسبيح الحصى ، وحنين
لجذع .

يقول الإمام ابن كثير :

« وفى حديث أبى ذر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، أخذ فى يده
حصيات ، فسمع لهن تسبيح كطنين النحل ، وكذا فى يد أبى بكر
عمر وعثمان رضى الله عنهم » .

وهو حديث مشهور فى المسانيد .

ولقد قطع الله الطريق على كل من يمارى فى تسبيح النبات والجماد
بقوله :

« وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم »

وتسبيح الله ؛ تنزيهه سبحانه عن الشريك فى الخلق ، وعن الشريك
فى القدرة أو الإرادة ، أو المنح ، أو المنع .

إنه التوحيد : توحيد الله بالحمد العام المطلق ، وبالشكر الشامل
التام ، كل ما فى الكون يسبح ، والله سبحانه وتعالى يقول :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسبِّح له مَنْ فى السمٰواتِ والأَرضِ وَالطَّيْرُ صَافَّات كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَه واللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ »(١)

ولقد أجمل الله سبحانه تسبيح الجمادات وفصله ، واستعمل فى ذلك صيغة « سبح » وصيغة « تسبح » وصيغة « يسبح » :

فمن صيغ الماضى :

« سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم »(٢) :

ومن صيغ المضارع :

« يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير »(٣) :

ومن أمثلة التفصيل قوله تعالى عن الجبال :

« إنَّا سخَّرنا الجِبالَ معهُ يسبِّحْن بالعَشِىِ والإشراق »(٤).

والرعد يسبِّح :

« وَيُسَبِّحُ الرعدُ بحَمْده ، والملَائِكَةُ من خيفته » (٥) .

---

(١) سورة النور ، آية : ٤١ .
(٢) سورة الحديد ، آية : ١ .
(٣) سورة التغابن ، آية : ١ .
(٤) سورة ص ، آية : ١٨ .
(٥) سورة الرعد ، آية : ١٣ .

وننتقل إلى الكائنات النورانية التى لا يعتريها شك فى تنزيه الله سبحانه ، ومع ذلك فهى تسبح ، ننتقل إلى الملائكة ، يقول تعالى :

« فإن اسْتَكْبَرُوا فالذين عند ربِّكَ يُسَبِّحُون له بالليل والنهار ، هم لا يَسْئَمُون » (١) .

ويقول سبحانه :

« الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا .. » (٢)

ويقول :

« وَتَرَى المَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ، وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالحَقِّ ، وَقِيلَ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ » .

أما الإنسان فقد فصل الله سبحانه وتعالى الأمر بالنسبة إليه تفصيلا جميلا :

لقد أمر سبحانه بالتسبيح أرقى المخلوقات وهم الأنبياء والرسل ، ولقد قال سبحانه لرسوله الكريم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه :

---

(١) سورة فصلت ، آية : ٣٨ .
(٢) سورة غافر ، آية : ٧ .

« فَسَبِّحْ بحَمْد ربِّكَ وكُنْ مِنَ السَّاجدِين » .

« وتوكَّلْ على الحىَ الذى لا يموت وسبح بحمده ، وكفى به بذنوب عباده خَبِيرًا » .

وأمر سبحانه جميع المؤمنين به فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا » (١) .

وقال :

«وَإِنَّهُ لحقُّ اليَقِينِ ، فسَبِّحْ باسْمِ ربِّك العظيم » (٢) .

وقال :

«سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى » (٣) ؛

وجعله علامة الإيمان فقال :

« إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ، وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ » (٤) .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٤٢ .

(٢) سورة الحاقة ، آية : ٥١ ، ٥٢ .

(٣) سورة الأعلى ، آية : ١ .

(٤) سورة السجدة ، آية : ٥١ .

وبين الله سبحانه وتعالى ، انه جعل لبنى البشر من الفلك والأنعام ركبا ثم قال :

« لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ، ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُم عليه ، وتقولوا : سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لنا هذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ »[١] .

والأمر كذلك فى كل نعمة :

وهو سبب النجاة :

فذو النون عليه السلام يقول الله عنه :

« وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا ، فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ، فَنَادَى فِى الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ »[٢] .

ويقول سبحانه عنه :

« فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ المسبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ »[٣] .

---

(١) سورة الزخرف ، آية : ١٣ .
(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧ .
(٣) سورة الصافات ، آية : ٤٣ .

ويقول سبحانه عن هؤلاء الذين دمّر جنتهم :

« قال أوسطهم أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُون ، قَالُوا سُبْحَانَ ربِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ »(١) .

وهو سبب فى الرضى والسكينة ، رضى النفس وسكينتها ، يقول تعالى :

« فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ غُرُوبِهَا ، وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى » (٢) .

وهو من دعاء رجال فى بيوت الله :: يقول سبحانه :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال .

« رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيعٌ عن ذكرِ اللهِ ، وإقامِ الصَّلَاةِ ، وإيتاءِ الزَّكَاةِ ، يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبُ والأَبْصَار » (٣) .

وهو من دعاء أهل الجنة ، يقول سبحانه :

---

(١) سورة القلم ، آية : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) سورة طه ، آية : ١٣٠ .

(٣) سورة النور ، آية : ٣٦ ، ٣٧ .

« دَعْوَاهُمْ فِيهَا سبحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَتَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلَامٌ ، وَآخِرِ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ »(١) .

ثم هو فى الحقيقة شعار المؤمن إن رضى ، وشعاره إن تعجب ، وشعاره إن سمع بشأن الله مالا يليق بجلاله :

« وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، والأَرْضُ جَمِيعًا قبضتهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، والسَّمَاوات مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سبحانه وتعالى عمَّا يشرِكُونَ »(٢) .

« وإذ قال اللهُ يا عيسى بن مريم أَأَنْتَ قُلْتَ لِلْنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ ، قال سبحانك ، ما يكونُ لى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بحَقٍّ »(٣) .

« ربَّنَا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار »(٤) .

«أو يكونَ لكَ بيت من زُخرُف أَو تَرْقَى فى السماء ، ولن نؤمن لرُقِيِّك حتى تنزِّل علينا كتابا نقروُه ، قل سبحان ربى ، هل كنت إلا بشرا رسولا »(٥) .

---

(١) سورة يونس « آية : ١٠ » .

(٢) سورة الزمر « آية : ٦٧ » .

(٣) سورة المائدة « آية : ١١٦ » .

(٤) سورة آل عمران « آية : ١٩١ » .

(٥) سورة الإسراء « آية : ٩٣ » .

ومن أجل ذلك كله .. أمر الله سبحانه وتعالى به فى جميع الأَوقات ، أَمر به فى العَشى والإِبْكَارِ :

« فَاصْبِر إِن وعْدَ الله حق ، واستَغْفِرْ لذنبِكَ وسبح بحَمْدِ ربِّك بالعشى والإبكار »[١]

وفى المساء والصباح :

«فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُون وحين تُصْبِحُونَ

وبكرة وأَصيلا[٢] :

«لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ ورسولِه وتعزِّرُوه وتوقِّروه وتُسَبِّحُوه بكرَةً وَأَصِيلا »[٣] ،

وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، ومن الليل وأَدبار السجود :

«فاصبر على ما يقولون ، وسبِّح بحَمْدِ ربِّكَ قبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وقبْلَ الغُرُوبِ ، وَمِنَ الَّليْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ »[٤]

وعند القيام ، ومن الليل ، وأَدبار النجوم :

---

(١) سورة غافر ، آية : ٥٥ .

(٢) سورة الروم ، آية ، ١٧ .

(٣) سورة الفتح ، آية : ٩ .

(٤) سورة ق ، آية : ٣٩ ، ٤٠ .

« وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ، وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ »(١) .

وبعد : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه :

« من قال : حين يصبح وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة ، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ماقال أو زاد » (٢) .

ونعود إلى الحمد أيضا من جديد :

الحمد الذى افتتح الله به الفاتحة ، أى افتتح به القرآن مشير إلى العلة وهى التربية التى من شأنها أن تهذب وأن تسير بالمربى نحو الكمال ، التربية أو السير نحو الكمال لكل عالم ، لجميع العالمين .

الحمد لله رب العالمين .

الحمد لله المربى لجميع العوالم ، السائر بهم نحو الكمال بحسب استعداد كل واستجابته ، ومن أجل ذلك ، بل من أجل كماله سبحانه فى نفسه كان له الحمد فى السماوات والأرض .

« وله الحمد فى السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون »(٣)

« فلله الحمد رب السماوات

---

(١) سورة الطور ، آية : ٤٨ ، ٤٩ . (٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الروم ، آية : ١٨ . (٤) سورة الجاثية ، آية : ٣٦ .

وكان له الحمد فى الأُولى والآخرة :

« وهُوَ اللهُ لا إلَهَ إلَّا هو ، لَهُ الحَمْدُ فى الأُولَى والآخِرةِ ، ولَهُ الحُكْمُ ، وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ »(١) .

ومن أجمل أنواع الحمد وأرقها ، وأرقاها وأنفسها ، الحمد الذى ينبعث من نفس الإنسان من أجل كمال الله سبحانه .

وقد وردت فى القرآن الكريم نماذج لذلك :

يقول تعالى :

« وقل الحمد لله الذى لم يَتَّخِذْ ولدا ، ولم يكن له شَرِيكٌ فى المُلْكِ ، ولم يكن له وَلِىٌّ من الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكبيرًا »(٢) .

ويلى ذلك الحمد على نعمة الهداية ، وعلى إنزال مصدرها ومنبعها : القرآن .

« الحَمْدُ للهِ الذى أَنْزَلَ على عبْدِهِ الكِتَابَ ولم يَجْعَلْ لَهُ عوجًا »(٣) .

ثم الحمد على النعمة العامة :

---

(١) سورة القصص ، آية : ٧٠ .

(٢) سورة الإسراء ، آية : ١١١ . (٣) سورة الكهف ، آية : ١ .

«الحمد لله الذى خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور»(١) .

« الحمد للهِ فاطرِ السماواتِ والأرضِ جَاعِلِ الملائكَةِ رسُلاً أُولى أَجْنِحَة مَثْنَى وثُلَاثَ ورُبَاعَ ، يَزِيدُ فى الخَلْقِ ما يَشَاءُ ، إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٍ »(٢) .

ثم الحمد من أجل النعم الخاصة ، والنعم الخاصة كثيرة متعددة :

« وَإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا »(٣) .

وقد أسبغها الله علينا ظاهرة وباطنة :

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سخَّر لكم ما فى السَّمَاواتِ وما فى الأَرْضِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعمَهُ ظاهِرَةً وباطِنَةً »(٤) .

وكلها — بدون استثناء — من الله :

« وَمَا بِكُمْ من نِعْمَة فمن الله »(٥) .

---

(١) سورة الأنعام « آية : ١ »
(٢) سورة فاطر « آية : ١ »
(٣) سورة إبراهيم « آية : ٣٤ »
(٤) سورة لقمان « آية : ٢٠ »
(٥) سورة النحل « آية : ٥٣ »

من أجل ذلك :

أمر الله سبحانه بالحمد عند كل نعمة :

« فإذا استويت أنتَ ومَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ ، فقل الحمد الذى نجّانا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ »(١) .

واستجاب للأمر من استجاب :

« وَلَقَدْ آتَيْنَا داودَ وسليْمَان علماً ، وقالا الحمدُ لله الذى فَضَّلَنَا على كثيرٍ من عباده المؤمنين »(٢) .

« الحمدُ للهِ الَّذِى وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ ، إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ »(٣) .

والحمد من دعاء أهل الجنة :

« وقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ ، نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حيثُ نَشَاءُ ، فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ »(٤) .

« وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِمْ من غل ، تَجْرِى مِنْ تحتِهِمْ الأَنْهَارُ ، وَقَالُوا الحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ »(٥) .

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : ١٨ .

(٢) سورة النمل ، آية : ١٥ .

(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٣٩ .

(٤) سورة الزمر ، آية : ٧٤ .

(٥) سورة الأعراف ، آية : ٤٣ .

« وقالوا الحمدُ لله الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الحزنَ إنَ ربَّنَا لغفُورٌ شكور »[1] بل هو آخر دعاء أهل الجنة !

« دَعْوَاهُمْ فِيهَا سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[2]

الحمد لله :

إنها تملأ الميزان كما ورد فى حديث أبى مالك الأشعرى - فيما رواه الإمام مسلم - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض » :

وبعد :

فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان قال :

« من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير ، فى يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » ..

---

(١) سورة فاطر ، آية : ٣٤ .   (٢) سورة يونس ، آية : ١٠ .

وقال :

« من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة ، حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » (١) :

وأخيراً : فانه ينبغي - متابعة للسق القرآني - أن يفتتح المسلم كل عمل من أعماله الخيرة بقوله :

« الحمد لله »

---

(١) متفق عليه .

الاسلام والاستسلام لله

ويتساءل كثير من الناس فيقولون :

لم كانت ثمرة هذه الكلمات - مع سهولتها ويسرها عظيمة ؟ كان ثوابها جزيلا ؟

لم كان لها كل هذا الفضل ؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال نورد حديثين ينبغى أن نتدبرهما ، تأمل ، ونتروى فى فهم معناهما فى عمق :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، قال الله : أسلم عبدى واستسلم » (١)

وروى الحاكم وقال - صحيح ولا علة له - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لأبى هريرة :

« ألا أعلمك ، أو ألا أدلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة ؟ تقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله :

---

(١) الحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

أسلم عبدى واستسلم »

والهدف إذن من ترداد هذه الكلمات المباركة :

أن يتغلغل معناها فى رفق ، فى نفس الإنسان ، وفى كيانه كله ، حتى تقوده إلى الإسلام والاستسلام ، إلى إسلام الوجه له سبحانه ، وإلى الاستسلام الكلى لجلاله ، إنها توجه إلى هذا وتقود إليه ، وهو غايتها .

فتنزيه الله - وهو المعنى لسبحان الله - عن أن يكون فى حكمته إلا كل كمال وطهر وصفاء وسمو : إنما هو رضاء واستسلام لكل ما يأتى عنه من أفعال وأقوال هى الحق والخير والجمال .

وحمد الله على جميع النعم الظاهرة والباطنة ، إنما هو إقرار بأن مابالإنسان من نعمة ظاهرة أو باطنة فمن الله :

« وَمَابِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ » (١)

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمَاوَاتِ وَمَافِى الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وباطنةً » (٢)

« وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ، وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا » (٣)

---

(١) سورة النحل ، آية : ٣ .
(٢) سورة لقمان ، آية : ١٠ .
(٣) سورة إبراهيم ، آية : ٣٤ .

ن هذا الذى يتقلب فى نعم الله صباحا ومساء ، ليلا ونهارا ، فيعرفها يحمد الله عليها ، لا يتأتى له - فى منطق الحق - إلا أن يسير نحو المنعم يهاجر إليه مسلما مستسلما ..

ولا إله إلا الله : خالصة من القلب : ترجح فى الميزان السماوات والأرض ، لا يخيب قائلها مخلصا ..

إنها تحطيم للأصنام ، واستعلاء على الدنايا ، وتوجيه الوجه إلى الكمال المطلق : الله ..

والله أكبر بلا موازنة ، الله أكبر بلا مقارنة ، الله أكبر باطلاق ، والله أكبر يقينا لا شك فيه ، والله أكبر علما لا جهل معه ، والله أكبر هداية لا يشوبها ضلال ، الله أكبر تقتضى : ففروا إلى الله ..

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم : تجريد وإخلاص ، وتوجه كامل إلى صاحب الحول والقوة ائتماراً بأمره ، وانتهاء عما نهى ..

والثمرة الكلية لهذه الكلمات المباركة ، إنما هى ، إسلام واستسلام لله سبحانه ، وهذا هو التدين ، وهذا هو الإسلام الذى مثله رسول صلى الله عليه وسلم ، فى خضوعه لله ، وتبتله ، وفى كفاحه فى سبيل الله ونضاله ، وفى شجاعته فى الحق وتمسكه به ، وفى استعلائه على الدنايا ، وانغماسه فى الطهر ، وفى عمله ليلا ونهارا ليسير المجتمع - أفراداً وجماعات - على صراط الله المستقيم : عقيدة وخلقا وتشريعاً ..

إن هذه الكلمات المباركة : تصل بالمؤمنين المخلصين إلى أن يستجيبوا لله ورسوله ، مجاهدين فى سبيل الله ورسوله ، إنها تجردهم من الجبن ، ومن التملق ، والرياء ، والمداهنة ، وتخلصهم للحق والخير والعمل ، جنوداً فى سبيل الخير والحق ، آمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر ، لا يخشون فى الله لومة لائم .

ومن أجل ذلك وغيره من ثمار زكية تؤدى إليها هذه الكلمات ، كان ما ترتب عليها من ثواب جزيل ، ورضوان جم .

الفصل الخامس

الصّلاة على النبيّ

ومن الذكر الصلاة على خير المرسلين :

يقول الله تعالى :

« إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النبي ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » (١)

والصلاة على النبي : هى نفل الجزء الثانى من الركن الأول من أركان الإسلام ، وهو شهادة أن محمداً رسول الله .

ولقد روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من صلى على صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً » (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أولى الناس فى يوم القيامة ، أكثرهم على صلاة » (٢)

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٥٦ . (١) رواه مسلم .

(٢) الترمذى ، وقال : حسن .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« البخيل من ذكرت عنده ، فلم يصل على » (١)

أهمية الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم

وتتبين أهمية الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديثين التاليين :

عن محمد بن يحي بن حبان ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه :

« أن رجلا قال : يا رسول الله ، أجعل ثلث صلاتى عليك ؟ قال نعم ، إن شئت ، قال : الثلثين ؟ قال : نعم ، إن شئت ، قال : فصلاتى كلها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إذا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وأخراك » (٢) .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال : « يا أيها الناس : اذكروا الله ، اذكروا الله ... جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبى بن كعب :

---

(١) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

(٢) رواه الطبرانى .

فقلت : يا رسول الله ، إنى أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من
تى ؟

قال : ما شئت ؟؟

قال : قلت : الربع ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو خير لك ..

قال : فقلت ، فالثلث ؟

قال : ما شئت ، فان زدت فهو خير لك ،

قلت : النصف ؟

قال : ما شئت ، وإن زدت فهو بخير لك ؛

قال : أجعل لك صلاتى كلها ؟

قال : إذا يكفى همك ، ويغفر لك ذنبك (١)

وإذا كانت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مطلوبة كل وقت ، فانه صلى الله عليه وسلم ، قد حث عليها فى يوم الجمعة لذات ، وهو يوم مبارك فتزيده الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم بركة ونوراً .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة ، فانه مشهود تشهده

---

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم .

الملائكة ، وإن أحدا لن يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال :

« إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام » (١)

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على ، قالوا

« يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت . يعنى بليت ـ؟ » : فقال :

« إن الله عز وجل ، حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »(٢)

ولقد تفنن الصالحون فى صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليجد الإنسان مالا يكاد يعد ولا يحصى من هذه الصيغ ، وفيها النور ، وفيها الإشراق والصفاء .

وبعضها خالص فى الصلاة قد تمحض لها ، وبعضها تتجه تعبيراته إلى طلب من الله سبحانه ، كشفاء المريض ، أو قضاء الحاجة ، أو انشراح الصدر . ونذكر الآن نماذج من هذه الصلوات :

---

(١) رواه ابن ماجه باسناد جيد .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

ول ما نذكر من ذلك هى ما أطلق عليها : الصلاة الإبراهيمية :

اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت يدنا إبراهيم ، وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد ، آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، فى العالمين ، إنك حميد مجيد » .

من صيغ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ما ذكره شيخنا المرحوم الشيخ عبد الفتاح القاضى ، الشاذلى طريقة ، الشبلنجى وإقامة ، وقد تلقاها تلقينا فى النوم :

« اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد عبدك : عدد ك ، ورضاء نفسك ، وزنة عرشك ، ومداد كلماتك » :

وصيغة الشيخ الكبير العارف بالله ، سيدى المتبولى ، من أجمل غ وأكملها وهى :

« اللهم إنى أسألك بك أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر بياء والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لى ما ى ، وتحفظنى فيما بقى » :

والصيغة التى تلقيناها عن العارف بالله الشيخ محمد عبد المغنى ، ى تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاها هى :

« اللهم صل على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما ، كن بنا وبالمؤمنين رءوفاً رحيما » .

ومن الصيغ التى يرددها الصالحون كثيراً :

« اللهم صل على سيدنا محمد ، صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات فى الحياة ، وبعد الممات » (١) .

ومن الصيغ :

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى ، وعلى آل محمد ، صلاة تكون لنا رضاء ، ولحقه أداء ، وأعطه الوسيلة ، والمقام المحمود ، الذى وعدته ، وأجزه عنا ، ماهو أهله ، وأجزه أفضل ما جازيت نبياً عن أمته ، وصل على جميع إخوانه من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين .

اللهم صل على محمد فى الأولين ، وصل على محمد فى الاخرين ، وصل على محمد إلى يوم الدين :

اللهم صل على روح محمد فى الأرواح ، وصل على جسده فى الأجساد ، وعلى قبره فى القبور ، واجعل شرائف صلواتك ، ونوامى بركاتك ، ورأفة تحننك ورضوانك ، على محمد عبدك ونبيك ورسولك وسلم تسليما كثيراً » (٢)

---

(١) هذه الصلاة واردة فى « الدلائل » .

(٢) هذه الصلاة ذكرها الإمام العارف شهاب الدين أحمد السهروردى فى كتابه « عوارف المعارف » .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد الذى أشرقت به الظلم ، اللهم صل على سيدنا محمد المبعوث بالرحمة لكل الأمم ، اللهم صلى على سيدنا محمد المختار للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم ، اللهم صل على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم : اللهم صل على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وخواص الحكم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى كان لا تنتهك فى مجالسه الحرم ، ولا يغضى عمن ظلم ، اللهم صلى على سيدنا محمد الذى كان إذا مشى تظلله الغمامة حيثما يمم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى أثنى عليه رب العزة فى سالف القدم ، اللهم صل على سيدنا محمد الذى صلى عليه الله فى محكم كتابه وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه ما انهلت الديم ، وما جرت على المذنبين أذيال الكرم ، وسلم تسليما ، وشرفه وكرم » (١) .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد النبى الأمى ، الطاهر الذكى ، صلاة تحل بها العقد ، وتفك بها الكروب » (٢)

---

(١) وهذه الصلاة الحافلة المتجلية هى لسيدى الفاكهانى ، صاحب كتاب « الفجر المنير فى الصلاة على البشير النذير » .

(٢) هذه الصلاة ذكرها الزبيدى فى مختصر البخارى فى كتابه « الصلات والعوائد » وقال عنها بعض الصالحين : إنها مجربة فى تفريج الكرب .

ومنها :

« اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره ، ورحمة للعالمين ظهوره ، عدد من مضى من خلقك ومن بقى ، ومن سعد منهم ومن شقى ، صلاة تستغرق العد ، وتحيط بالحد ، صلاة لا غاية لها ، ولا منتهى ، ولا انقضاء ، صلاة دائمة بدوامك ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليما مثل ذلك » (١)

ومنها :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، صلاة تكون لك رضاء ، ولحقه أداء ، وأعطه الوسيلة والمقام الذى وعدته » (٢) .

اللهم إنى أسألك بك ، أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وآلهم وصحبهم أجمعين ، وأن تغفر لى ما مضى ، وتحفظنى فيما بقى » (٣) .

وفى حديث فضالة ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى ، ثم يدعو بما شاء ؛» (٤) .

---

(١) ذكر شرح « الدلائل » أن سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه ختم بهذه الصلاة حزبه .

(٢) ورد عن هذه الصلاة كما يقول الشعرانى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قالها فقد وجبت له شفاعتى » .

(٣) وهذه الصلاة لسيدى « إبراهيم المتبولى » .

(٤) رواه أحمد وصححه الترمذى وابن حبان والحاكم .

وبعد :

فان الإمام الصاوى يشرح قوله تعالى .

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »

فيقول :

هذه الآية : فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات ، وأفضل الخلق على الإطلاق : إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة ، لقوله تعالى :

« هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عليكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »

فانظر الفرق بين الصلاتين ، والفرق بين المقامين .

ثم يقول فى معنى قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » ؟

أى ادعوا له بما يليق به . وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك حيث اقتدوا بالله فى مطلق الصلاة ، وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق ، لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم ، وحق على من وصلت له

نعمة من شخص أن يكافئه ، فصلاة جميع الخلق عليه منكم [illegible]
ما يجب عليهم من حقوقه .

واعلم أن العلماء إتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فى تعيين الواجب :

فعند مالك : تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة .

وعند الشافعي : تجب فى التشهد الأخير من كل فرض .

وعند غيرهما : تجب فى كل مجلس مرة ؛

وقيل : تجب عند ذكره .

وقيل : يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد .

وبالجملة : فالصلاة على النبي أمرها عظيم ، وفضلها جسيم ، وهي من أفضل الطاعات ، وأجل القربات ، حتى قال بعض العارفين :

« إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها ، لأنها تعرض عليه ، ويصلى على المصلى ، بخلاف غيرها من الأذكار ، فلابد فيها من الشيخ العارف ، وإلا دخلها الشيطان ، ولم ينتفع صاحبها بها »

وفى الآية الجمع بين الصلاة والسلام ، وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى ، وأفضلها : ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب ، فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم ، (١)

---

(١) حاشية الصاوى على الجلالين ، جـ ٣ ، ص : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

ويقول الشاعر العربي :

إذا كنت في ضيق وهم وفاقة
وأمسيت مكروباً وأصبحت في حرج
فصل على المختار من آل هاشم
كثيراً فإن الله يأتيك بالفرج

رقم الايداع ١٩٧٠/٥٧٩٩

الشعب

٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة
تليفون [illegible]